ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1052 - الجمعة 30 ذو القعدة 1424 هـ - الموافق 23 يناير 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

الأضحية ومكانتها في الإسلام

لقاء التجيبي بالإمام عبد المومن التوني

كيفية أداء مناسك الحج والعمرة

القرآن وهيمنته على الشرائع والوعظ

الهداية الصادقة تكمن في قوة الإيمان

إن الإيمان الصادق يجعل من يتحلى به يلتزم بما ينقذه من مهاوي الشيطان ورذائل هواجس النفس الأمارة بالسوء.

فالمؤمن الصادق يخاف الله قولا وعملا لأنه يعلم علم اليقين أنه ملاقيه وأن ما جاء به الرسول(ص) هو الحق الذي لا غبار عليه (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) هذه الحالة التي تطرأ للمؤمنين من الخشوع وقوة الورع لا يتصف بها إلا من ملأ الله قلبه إيمانا. وتلك صفة العلماء العاملين المؤمنين الصادقين الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم (يقولون آمنا به كل من عند ربنا).

والدعوة إلى الله تخاطب العاقل المميز، فمن توفرت فيه هاته الصفة بإمكانه أن يتعلم ويتدبر ويبحث ويتعمق في تأملاته (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب) فمن خصه الله بالهداية - وذلك ما أرجوه لجميع الإنسانية - وشرح صدره للإيمان وهداه إلى اتباع الطريق المستقيم، وفتح سمعه وبصره وبصيرته لتدبر نذير القرآن فذلك من علامات حياة القلب ورقة الشعور وحسن التمييز والتوفيق (لتنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين).

وفي التزام تعاليم القرآن راحة نفسية ودليل على فتح البصيرة (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها).

ولاشك أن الاحتفاظ على القيم يدل على نضج العقل والاستجابة لما يدعو الله إليه من رشاد للإنسانية (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) فإذا أنت أيها الإنسان استطعت أن تهذب أخلاقك وتعمل لصالح نفسك ومجتمعك الإنساني بدون تمييز فتلكم هي العظمة الأخلاقية، وقد مدح الله نبيه (ص) على حسن أخلاقه فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم) فإذا تحلت أمة بالأخلاق الحميدة وكرست نفسها للأعمال السديدة، وعملت قصارى جهدها لنشر العدل بمعنى الكلمة تكون ولاشك خير أمم بني الإنسان (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله).

لقد حرص الإسلام على أن يلتزم المسلم بخلال حميدة يحرص عليها كل الحرص ولا يترك لأي كان أن يعكر صفوها فيأمر بالحفاظ على النفس (ولا تقتلوا أنفسكم) ويحرم هتك العرض ويعزر عليه، ولا يقبل من المسلم الأفعال التي تمهد لذلك (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) ويحرم البغاء والمخادنة ويعاقب عليهما (محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان) ويمنع كل الفواحش حفاظا على نقاء العرض وطيب السمعة (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) كما أن الإسلام يحرم الكذب وقول الزور (واجتنبوا قول الزور).

كما نهى ديننا عن مدح المرء نفسه فإن للنفوس من النقائص ما لا يأتي تحت حصر. وحذر الإسلام من اتباع الهوى لما يجني على متبعه من ويلات لا تحصى، كما أمر بالتوقي من أنواع الهوى لكي لا تجمح بنا عن العدل (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) ونهانا الله نحن فصيلة أهل الإيمان عن التشبه بالكفار (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا)، وحثنا الدين الإسلامي على القناعة والنزاهة والترفع عما في يد الناس (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم)، ونهانا عن المبالغة في جمع المال (وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما) وحذرنا من الكبر واحتقار البشر. لما في هذا التوجيه الديني من المساواة والديمقراطية الحقة والحث على التواضع وتكريم الإنسان وعدم التطاول عليه.

(ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) ومنع علينا أن يغتاب بعضنا بعضا (ولا يغتب بعضكم بعضا) وحظر على الإنسان أن يسخر من أخيه الإنسان (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) وحرم علينا التنابز بالألقاب لإهانة الإنسان (ولا تنابزوا بالألقاب) ومنع التآمر على الغير ظلما وعدوانا (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وحث الدين الإسلامي على التآخي والتواد والتلاحم ووحدة الصف (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا).

فلنشع الفضيلة والمحبة والرحمة في القلوب ولنقو إيماننا ونحرص على تعاليم ديننا لكي لا نميل وننحرف عن الصراط المستقيم.

(وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) وفقنا الله لما يرضيه.

بقلم النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب
الشيخ ماء العينين لارباس

العدل والعدالة في التوجيه الديني

عدل الأبناء مع الآباء

في الأعداد التسعة الماضية شرعنا في قراءة جديدة لموضوع العدل والعدالة منطلقين من التوجيه القرآني الكريم «اعدلوا هو أقرب للتقوى» ومن قوله صلى الله عليه وسلم :تعدل بين الناس صدقة» ومررنا على التعريف بالعدل في الاستعمال اللغوي فرأينا فيه ثروة هائلة من المعاني التي تبلغ الإنسان لفضاء العدل ووقفنا قليلا مع العدل الأسري فرأينا مايجب على الزوج لزوجته أولأزواجه عند التعدد من صور العدل، ومايجب نحو الأبناء من الآباء وتدخل الرسول صلى الله عليه وسلم لإقرار مبدأ العدل مع الأبناء في أبسط التصرفات حين سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للرجل الذي أجلس ابنه الذكر على فخذه الأيمن وأجلس ابنته على الأرض لماذا لم تجلسها على فخذك الأخرى؟! فلما امتثل قال له: 'الآن عدلت' إنه منهج التربية النبوية للمسلمين حتى في الحدود الدنيا، لأن فضاء العدل لا حدود له، ومجاله واسع وأدواته لاتكلف فيها كلما كانت النفس أمارة بالخير والإحسان والبر والعطاء...

ونقف قليلا مع توجيه الأبناء للعدل مع الآباء، يقول الله تعالى في كتابه الكريم في سورة الإسراء الآية :32 "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا اما يبلغن عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

في هذا التوجيه القرءاني نجد الله عزوجل يأمر بأمرين اثنين : أولا: عبادته وحده، دون اشراك أحد معه حتى تكون قاعدة الإيمان صلبة عند المسلم، لا تتأثر بأي شيء أمام وحدانيته تعالى، لأن الإيمان بالله وحده هو النور الذي يفتح الطريق المستقم، فيسير معه المسلم في أمن وأمان، يرعاه من يخصصه بالعبادة وحده، ويحميه من يتوجه إليه في سره وعلانيته. والأمر الثاني الذي أوصى به الله عز وجل بجانب عبادته وحده: الإحسان إلى الوالدين، فالإحسان إليهما أورده الله في هذه الآية بجانب عبادته وحده، وفي ذلك إشارة إلى المخلصين في إيمانهم لينظروا إلى مقام الوالدين عند الله عز وجل، إنه المقام الرفيع والدرجة العالية السامية، ولم يوص الله عز وجل بالعدل معهما فقط، ولكن أمر بالإحسان إليهما، وكما رأينا في الأحاديث السابقة فإن المؤمن لايصل إلى درجة الإحسان إلا إذا تجاوز حدود العدل وزاد عليه في تصرفه، فالإحسان لاتظهر حدوده إلا إذا تجاوز الإنسان فيه مايجب عليه وانتقل إلى الزيادة من حقه ليدخل دائرة الإحسان فإذا وقف الأبناء عند حدود العدل مع الآباء لايكونون نفذوا التوجيه الإلاهي وقد يعتبرون دخلوا منطقة العقوق والعياذ بالله.

الأستاذ أحمد أفزاز
النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعية

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

لقاء التجيبي بالشيخ الإمام ابن محمد عبد المومن التوني

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ تحدثنا في الحلقات السابقة باختصار عن لقاء رحالتنا التجيبي المغربي السبتي بالشيخ بن دقيق العيد بالقاهرة المعزية، وأشرنا إلى بعض ماراواه عنه من أحاديث باسانيده عن شيوخه، وكيف كان يتلقى التجيبي ذلك، ويستفيد منه ويعلق عليه...

وفي هذه الحلقة نأتي بمقتطفات عن لقائه بالشيخ عبد المومن التوني بالقاهرة أيضا الذي يقول عنه: الشيخ الفقيه الامام جمال الإسلام، بقية الحفاظ الأعلام الجهبذ الأثير، المحدث الكبير، صَيْرَفِيُّ الأخبار، وعمدة الأمصار، خاتمة المسندين شرف الدين أبو محمد عبد المومن بن الشيخ وفي الدين أبي القاسم خلف بن الحسن... التوني المحتد والمولد، الدمياطي المنشأ والمعهد، العراقي الرحلة، الطاهري المنزل، يشتهر: بالدمياطي...

ومعناه أننا أمام شيخ جليل القد، وإمام مبرز في العلوم الإسلامية، ومحدث حافظ، يعد من كبار علماء مصر في هذه الفترة، وأحد شيوخها المرموقين... لقد أطنب في رحالتنا في إضفاء الأوصاف الجليلة عليه. وما أظنه يبالغ في ذلك. يقول عنه: أحد أئمة الحفاظ المشهورين بالثقة والضبط، والإتقان، ذاكر للأسانيد والمتون، بصير بتعديل الرجال وتجريحهم، ومواضعهم من البلدان وغيرها، محيط بمتشابه أنسابهم، عارف بالأسماء والكنى، والتواريخ والمواليد والوفيات، وأحسبه في زمانه، كالدارقطني في زمانه، وقد اشتهر في الأقطار بالإحاطة بعلم الأنساب، ما أعلم على البسيطة من يقاربه فيه...

والتجيبي لايتكلم جزافا، وهو العالم النحرير المتضلع في علوم الحديث وغيرها من العلوم الإسلامية، وهو قد درس عليه وحضر دروسه، واستفاد منه، وأوصاف التجيبي لهذا الإمام الجليل تبين المستوى الرفيع الذي كان عليه كثير من أئمة العلماء في البلاد الإسلامية، وتدل بوضوح على أن الشيوخ المرموقين كانوا على درجة عالية من المعرفة والجدية في التحصيل، لدرجة تبهر كبار العلماء مثل التجيبي الذي سيعطي لقارئ رحلته الدليل على مايقوله: "قرأ الفقه في فتوته على مذهب الشافعي. رحمه الله تعالى. واشتغل بعلم العربية، وضبط اللسان، ثم مال إلى الطريقة الشريفة الحديثية، ورحل بنفسه في طلب ذلك وتحصيله، وسمع الحديث بالحجاز، وبالجزيرة، ودخل دفعتين أيضا بالشام ومصر، ودخل الإسكندرية في هذا الشأن مرتين، وتتبع شيوخ عصر تلك البلاد، واستكثر من الرواية عنهم، والإسناد، فعلا بذلك قدره، وبعد صيته، واشتهر أمره، وهو آخر المجتهدين من الرحالين في هذا الشأن إلى أقاصي البلدان، وقد سمع منه الفضلاء، ورحل إليه الناس من الأمصار، وقصده عامة المحدثين بالديار المصرية والشامية... وهو من أشد الناس تواضعا، وأحسنهم مجالسة، وأملحهم مجاورة يملي الحكايات الحسنة والأشعار البديعة من حفظ ويستولي على المجالس بحسن أحاديثه، وغزارة روايته، وقد أحبته الخاصة والعامة، يبر الغرباء، ويدني منازلهم، يذكر اللغة ذكرا جيدا، ويقرض الشعر، ويعرف الفرائض، والحساب، ويحب التحديث، سهل العبارة، صاحب أصول صحاح، لايبخل بها، وقد أعارنا الأجزاء، ووهب لنا التصانيف، ودلنا على المشائخ لنسمع بها، وحدث وأملى بالشام والعراق، وديار مصر، وغيرها من الآفاق..."

وبعد هذا التعريف، وذكر ما كان عليه هذا الشيخ التوني الدمياطي من مكانة متميزة في رواية الحديث والتضلع في علومه ومصطلحاته، ومعرفة رجاله والتمكن من علم الجرح والتعديل، وكيف جاب الأقطار الإسلامية والتقى بكبار الشيوخ واستفاد وأفاد، وأصبح الناس يقصدونه من كل مكان، وماكان عليه من التواضع، وحب طلبة العلم، وإكرامهم، وتمهيد الطريق أمامهم...

وبعد هذا يقول: إن لشيخه هذا معجما يتكون من أربعة وأربعين جزء، ترجم فيه لشيوخه الذين لقيهم وأخذ عنهم بالحجاز، والشام والجزيرة والعراق وديار مصر، وغيرها من سائر الآفاق، ويحتوي هذا المعجم على ألف شيخ وثلاثمائة شيخ، ونيف وثلاثين شيخا.

ثم يقول: وقد وقع إلي أسماء جماعة ممن قرأ عليه، وأجازه... وذكر التجيبي أسماء جماعة وافرة من أسماء شيوخ شيخه التوني يذكرهم بأسمائهم وألقابهم وكناهم، وأطال في ذلك.

ثم ذكر مرويات الشيخ عن شيوخه بسندهم المتصل لأمهات كتب الحديث، وفي طليعتها موطأ الامام مالك، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النسائي، وسنن الدارقطني...

إلى أن يقول: وله التصانيف الكثيرة المفيدة الدالة على حفظه وتبحره في صناعة الحديث الشريف ومايتعلق به خصوصا علم الأنساب، منها:

"الأربعون حديثا المتباينة الإسناد المخرجة على الصحيح من حديث دار السلام ببغداد، مما وقع إليه بالسماع المتصل من غير تكرار إسناد"، ومختصر هذه الأربعين، وهي الأربعون الصغرى المتباينة الإسناد أيضا"، واقتدى في وضعها بالإمام عبد القادر بن عبد الله الهروي .رحمه الله تعالى. ومنها: "الأربعون الموافقات العوالي"، "والأربعون التساعيات الإسناد والأبدال" والمائة التساعية في الموافقات، والأبدال العالية"، والتساعيات المطلقة التي ليس فيها بدل ولا موافقة" والمصافحة التي كأنه سمعها من مسلم وأبي داود والنسائي رحمه الله، "والأربعون الحلبية في الأحكام النبوية" والأربعون في الجهاد، "والمجالس البغدادية" التي أملاها ببغداد، "والمجالس الشمسية التي أملاها بدمشق، "والمجالس القطبية" التي املاها بديار مصر، و"كتاب كشف المغطى في تبيين الصلاة الوسطى"، ذكر فيها سبعة عشر قولا، و"كتاب: "فضل ستة أيام من شوال بعد العيد"، و"الجواب عمن تكلم في سعد بن سعيد" وكتاب "فضل الخيل ومايستحب ومايكره من ألوانها، وشياتها، وماجاء في كراهة أكل لحومها وإباحتها، وماورد في سباقها، وسهامها وصدقتها" ،كتاب العقد الثمين فيمن تسمى بعبد المؤمن" وكتاب التسلي والاغتباط بثواب من تقدم من الأفراط"الأفراط جمع فرط، والفرط ماتقدم الإنسان من أجر وعمل، وماتقدم موته من الأطفال الصغار، وما في ذلك من الثواب، وفي الدعاء للطفل الميت: اللهم اجعله لنا فرطا، أي أجرا يتقدمنا حتى نرد عليه، وفرط فلان ولدا، وافترطهم: ماتوا صغارا . لسان العرب..

وكتاب: "أخبار بني المطلب بن عبد مناف، رهط الامام أبي عبد الله، محمد بن إدريس الشافعي. الحجازي المحتد، المصري الوفاة"

وكتاب: " أخبار بني عمهم نوفل بن عبد مناف" وكتاب "أخبار بني سهم وأنسابهم"، وكتاب: "أخبار بني لحج وأنسابهم"وكتاب: "أخبار الخزرج وما فيها من القبائل والعمائر والبطون والأفخاذ والفصائل، ومن فيها من الصحابة والتابعين، ومن له سابقة في الدين، وكتاب: "خلفاء بني العباس" وكتاب: "الأعيان والأجياد، من شيوخ بغداد" وكتاب : "الذكر والتسبيح أعقاب الصلوات" وكتاب: "أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده وأسلافه" وكتاب جمع طرق حديث: "لايشكر الله من لم يشكر الناس" ،غير ذلك".

فتقدير الشيخ التوني واحترامه لم يكن مبالغا فيه.

ثم يقول التجيبي بعد ذلك: "ومن تآليفه المفيدة جزء يحتوي على حديث الرحمة المسلسل، وعلى أحاديث عوال من روايته، سمعت عليه بعضه من لفظه، وباقيه بلفظي، والمائة التساعية في الموافقات، والإبدال العلية، قرأتها عليه في مجلسين اثنين بالمدرسة الظاهرية...ثم يعد الكتب التي قرأها عليه، والمجالس التي حضرها، ويذكر يومها وتاريخها... إلى أن يقول: وأجازنا الشيخ رضي الله عنه جميع ما تجوز عنه وله روايته، وكتب لنا بذلك بخط يده المباركة مرات، وارتويت من بحر علمه العذب الفرات، وتمتعت بلقائه قبل الحج وبعده... وكان لي بارا، وبي مكرما، أثابه الله، وكثر في الناس أمثاله..." ثم أطال في الكلام عما استفاده من هذا الشيخ.

ومما ينبغي أن يتأكد منه دارس رحلة التجيبي أن الاستفادة من رحلته تحتاج إلى التضلع في معرفة علوم الحديث، لأن الرجل يستعمل المصطلحات الحديثية، وقواعد هذا العلم بعفوية تامة، فهو يتحدث مع أهل الجهة من أصحاب هذا الفن.

أما وصف المدن والقرى والمعالم والآثار التاريخية، والمشاهد الجغرافية... فيأتي به للتنويع، والترويح على القارىء الذي أثقل عليه بالقواعد والمصطلحات، وبسرد الأسانيد الطويلة، والمتنوعة... والملاحظ أن التجيبي كانت له قدوة على الاندماج مع ضيوفه واكتساب عطفهم ومحبتهم وتقديرهم... ومن أجل ذلك يطلعونه على أصولهم الأثيرة عندهم، وعلى أمهات المؤلفات التي يعتزون بها، وعلى مؤلفاتهم التي أنجزوها، أو التي هي في طريق الإنجاز، وكانوا يعيرونه مايطلبه منهم من مؤلفاتهم، وغيرها، واثقين من أمانته، ووفائه...

وهذا يدل على أن التجيبي كان يتصف بالصفات المطلوبة، في الباحثين الذين يحترمون أنفسهم، ويقدرون الأمانة العلمية حق قدرها.

وإلى حلقة أخرى بحول الله.

(تتمة ص:1)

ولو وقف التوجيه القرآني عند كلمة الإحسان إلى الوالدين، وترك للأبناء السباحة في بحر الإحسان يتنقلون فيه من شاطئ إلى آخر، من خير، إلى خير ومن بر إلى لطف، ومن عدل إلى رحمة، لكان مقبولا، ولكن الله عز وجل لم يضبط التصرف العقلي فقط، ولكن حدد حتى الكلمات التي تخرج من الإبن نحو أبويه، "فلا تقل لهما أف، ولاتنهرهما"، وحتى لايبقى الإبن سلبيا في كلامه أمره الله عز وجل بأن يقول لهما قولا كريما، يفرحهما في حاضرهما، ويفتح لهما آفاق مستقبل ماينتظرهما من خير واطمئنان وسعادة، قل لهما قولا جميلا لينا فيه إحسان وتكريم لهما حتى عند مايصدر منهما قولا غليظا في حالة الضعف أو كبر العمر أو المرض أو غير ذلك من العوارض، إنك أمام الوالدين اللذين أخرجاك إلى الدنيا بعد مشقة الحمل وتحملا في مرحلة الرضاع والتربية مالا تعرفه، فعليك أن تتذلل لهما في رحمة بهما لا حدود لها، لا بالقول وحده ولكن بالفعل الذي يرضيهما ويرضى عنه الله ورسوله وننتقل إلى آية أخرى في سورة لقمان يجرنا إليها القلم جرا، وهي الآية الرابعة عشر التي يقول فيها الله عز وجل "ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين، أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير" وجاءت هذه الوصية بعد الوصية بعدم الإشراك بالله "يابني لاتشرك بالله" وبعد التذكير بمراحل الحمل والرضاعة والحماية والرقابة يأمر الله عز وجل الإبن بقوله "أن اشكرلي ولوالديك إلي المصير"، فالشكر لله إلذي هيألك أسباب الوجود، والشكر للوالدين اللذين هيأ لك أسباب الحضور في الوجود، بما قدماه من التحمل والعناية والرعاية حتى صرت بذلك موجودا تنفذ الأمر والنهي وتشكر المتسبب في ذلك بعد الشكر لله عز وجل.

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يارسول الله من أحق بحسن صحابتي؟قال:أمك، قال ثم من؟قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟قال: أبوك" أخرجه الشيخان.

الرسول صلى الله عليه وسلم يعطي للأم في هذه الوصية ثلاث درجات وللأب درجة واحدة، وهو يعلم لماذا نالت الأم تلك المراتب الثلاثة في التوجيه الديني، إنها التي حملته وهنا على وهن وأرضعته من لبنها الذي أجراه الله في جسدها حتى فصلته في عامين، وعن مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من الانصار فقال: يارسول الله هل بقي علي من بر أبوي شيء بعد موتهما أبرهما به؟ قال: "نعم" خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لارحم لك إلا من قبلهما ،فهو الذي بقي لك من برهما بعد موتهما" رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة.

إن خدمة الأمومة بصفة خاصة قد تتجاوز فضل الجهاد في سبيل الله عند الاخلاص فيها، يروى عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله أردت الغزو، وجئتك استشيرك، فقال "فهل لك من أم" قال نعم قال: "فالزمها فإن الجنة تحت رجليها" رواه أحمد والنسائي وابن ماجة.

هكذا يربط الإسلام أواصر الود والمحبة والرحمة بين الآباء والأبناء، ويجعل مسالك الجنة تحت أقدام الأمهات.

ومن هم هؤلاء الأبناء والبنات، إنهم آباء الغد وأمهات المستقبل وستكون لهم المرتبة التي كانوا يخدمونها وسينالون الإكرام في القول والكلام بعدما كانوا يؤدونه لآبائهم وأمهاتهم، فاللهم أرحم الآباء والأمهات لنا ولجميع المسلمين آمين، وإلى عدد قادم إن شاء الله.

العقائد

محمد بن التهامي الوزاني

الحمد لله

اعلم أن العقائد ستة وستون عقيدة من أحصاها دخل الجنة، وهو الوجود والقدم والبقاء والغنا المطلق والمخالفة للحوادث والوحدانية والقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، وكونه تعالى قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما، ومما يجب اعتقاده حدوث العالم بأسره ونفي التأثير بالطبع ونفي التأثير بالقوة ونفي الغرض وجواز فعل كل ممكن وتركه.

❖❖❖❖

فهذه خمس وعشرون ويستحيل أضدادها وهي خمس وعشرون أيضا وهي العدم والحدوث والغنا والافتقار ومماثلته تعالى للحوادث، ونفي الوحدانية والعجز والكراهية والممات والصمم والبكم والعمى، وكونه تعالى عاجزا وكارها وجاهلا وميتا وأصم وأبكم وأعمى وقدم العالم أو شيء منه وثبوت التأثير بالطبع وثبوت التأثير بالقوة وثبوت العرض ووجوب فعل ممكن ما واستحالته.

فهذه خمسون عقيدة إلهية.

❖❖❖❖

وأما العقائد المتعلقة بالرسل فستة عشرة عقيدة، وهي الصدق والأمانة والتبليغ وجواز الأعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص، والايمان بسائر الأنبياء، والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب السماوية والإيمان باليوم الآخر فهذه ثمانية،

ويستحيل أضدادها وهي الكذب وفعل المنهي عنه، والكتمان لما أمروا بتبليغه وامتناع الأعراض البشرية، وعدم الإيمان بسائر الأنبياء، وعدم الإيمان بالملائكة، وعدم الإيمان بالكتب السماوية، وعدم الإيمان باليوم الآخر.

❖❖❖❖

ثم هذه العقائد كلها مندرجة تحت الكلمة المشرفة، وهي قولنا لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله(ﷺ) وبيان اندراج جميع العقائد تحتها، أن المختار في تفسير الإله أنه المستغني عن كل ما سواه المفتقر إلى كل ما عداه، فإذا وضع المفسر مكان المفسر صار معنى لا إله إلا الله، فيدخل تحت استغنائه عن كل ما سواه ثمانية وعشرون عقيدة وهي: الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والغنا المطلق والسمع والبصر والكلام وكونه سميعا وبصيرا ومتكلما ونفي التأثير بالقوة ونفي الغرض وجواز فعل كل ممكن وتركه.

❖❖❖❖

فهذه أربعة عشر وأضدادها أربعة عشر أيضا الجميع ثمانية وعشرون ويدخل تحت افتقار كل ما سواه إليه اثنان وعشرون وهي الوحدانية والقدرة والإرادة والعلم والحياة وكونه قادرا ومريدا وعالما وحيا ونفي المتأثر بالطبع وحدوث العالم بأسره فهذه إحدى عشرة عقيدة وأضدادها إحدى عشرة أيضا.

ويدخل تحت قولنا محمد رسول الله(ﷺ) ستة عشرة عقيدة وهي الصدق والأمانة إلى آخرها ثم العقائد العشرون الأولى التي هي الوجود والقدم والبقاء والغنا المطلق ومخالفته تعالى للحوادث والوحدانية والقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وكونه تعالى قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما على أربعة أقسام الأولى نفسية وهي الوجود والخمس بعدها سلبية وهي القدم والبقاء والغنا المطلق والمخالفة للحوادث والوحدانية والسبع بعدها صفات المعاني وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام والسبع بعد ذلك صفات معنوية وهي كونه قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما.

❖❖❖❖

ثم إن صفات المعني السبعة على قسمين قسم لا يتعلق بشيء وهو الحياة وقسم يتعلق وهو الباقي ثم التعلق في كل شيء بحسبه فالتعلق في القدرة بمعنى التأثير وفي الإرادة بمعنى التخصيص وفي الكلام بمعنى الدلالة وفي العلم والسمع والبصر بمعنى الانكشاف، ثم هذه الصفات المتعلقة على ثلاثة أقسام قسم يتعلق بالممكنات وهو القدرة والإرادة وقسم ستعلق بالموجودات وهو السمع والبصر وقسم يتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات وهو العلم والكلام.

ثم إن هذه الصفات على ثلاثة أقسام منها ماله تعلق واحد وهو العلم، فله تعلق واحد تنجيزي قديم، ومنها ماله تعلقان صلاحي وتنجيزي وهو القدرة والإرادة، إلا أن القدرة صلاحيتها قديم وتنجيزها حادث، والإرادة كلاهما قديم، ومنها ماله ثلاثة تعلقات صلاحي قديم، وتنجيزي قديم، وتنجيزي حادث، وهو الكلام والسمع والبصر وذلك أن الكلام يتنوع بحسب مدلوله إلى ستة أنواع الأمر والنهي والخبر والاستخبار والوعد والوعيد، فيتعلق بالأمر والنهي قبل وجود المأمور والمنهي تعلقا صلاحيا قديما، وبعد وجودهما تعلقا تنجيزيا قديما، وأما السمع والبصر فيتعلقان بالموجود القديم تعلقا تنجيزيا قديما، وبالموجود الحادث قبل وجوده تعلقا صلاحيا قديما، وبعد وجوده تعلقا تنجيزيا حديثا، فتحصل أن الحياة لا تتعلق بشيء، وان القدرة لها تعلقان صلاحي قديم، وتنجيزي حادث، وأن الإرادة لها تعلقان أيضا صلاحي وتنجيزي وكلاهما قديم، وأن العلم له تعلق واحد تنجيزي قديم، وأن الكلام والسمع والبصر لكل واحد منهما ثلاث تعلقات، صلاحي قديم وتنجيزي قديم، وتنجيزي حادث.

❖❖❖❖

قاله وقيده لسائله الفقير الغاني محمد بن التهامي الوزاني كان الله له ولوالديه ولمتعلقاته هـ ومن خطه نقلته. ت ليلة الاثنين 12 شعبان 1211.

ح ع: د 1755.

الوثاق

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

إذا قلنا بان كنانيش الفقهاء المغاربة رضوان الله عليهم وأضابيرها تعتبر مناجم علم ومعرفة متنوعة لا يكاد يتصفحها القارئ حتى يجد نفسه مشدودا إلى ما فيها من أفاريد وتقاييد لكل ما هو طريف وغريب وتاصيل لكل ما هو شريد، وهذا ما وددت إطلاع القراء عليه، فوجدتني أنتقل من الرسالة إلى الدرس إلى التصنيف، ومن المسهب إلى المختصر المفيد، وبما أن المقال يتضح بالمثال فإني أقدم هذه النماذج المختصرة لمواضع لاتحتمل الاختصار والله

غنية المريد

للعلامة محمد عرضون

من وَاجِبِ عقل لذي الفضل الأعم
وصف الوجود، والبقاء، والقدم
مع المخالفة والقيام
بالنفس والوحدة خذ نظام
علم، حياة، قدرة، إرادة
سمع كلام بصر مراده
والمستحيل ضده والجائز
فعل ما يشاء ما هو عاجز
وواجب الرسل ذوي المكانة
الصدق والتبليغ والأمانة
والمستحيل ضدها والجائز
ما لا ينافي قدرهم يا فائز
برهان ذا الحدوث والتسلسل
والفعل والإتقان والتشكل
معجزة على وجوب العصمة
دلت فعي قولي وحاول فهمه
فهذه عقيدة مختصرة
متقنها يخوض مجر المهرة
فهي بذاك غُنْيَة المريد
كافية له من التقليد
نظمها في عاشر من القرون
محمد المدعو بابن عرضون

ص:78 ح ع: د 330

الإكراه

للعلامة الفاطمي الشرادي

■ الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله (ﷺ).

إعلم أن الإكراه وهو إلزام الغير للإنسان أمرا جبرا عليه، هل يلزمه ما أكره عليه أولا على الثاني هل على إطلاقه أو مع تفصيل؟

ظاهر الحديث الشريف في قوله (ﷺ) رفع عن أمتي الخطأ والنسان وما استكرهوا عليه، الإطلاق بمعنى أن المكره لا يكلف بشيء كالمجنون والمغمى عليه، وعليه قول الأصوليين كما في السبكي والصواب امتناع تكليف الغافل والملجا وكذا المكره على الصحيح، ومنه قوله مسألة لا تكليف إلا بفعل، أي اختيار، ومعنى الحديث الشريف رفع عن أمتي المؤاخذة بالخطإ والنسيان لا رفع وقوعها، فإنها واقعة، وأما قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، فقد وقع طلب عدم المؤاخذة مع اخباره (ﷻ) برفع الله بها عن الأمة، وأجيب بأن الطلب تعبد وتضرع وشكر فلا ينافي اخباره(ﷻ) برفع المؤاخذة.

هذا أحد الأجوبة عن الآية انظر التفسير.

❖❖❖❖

وقيل معنى الحديث يرفع عن أمتي الخطأ أي إثمه لا حكمه، إذ حكمه من الضمان لا يرتفع، والبنيان كذلك ما لم يتعاط سببه حتى فوت الواجب، فإنه يأثم، وما استكرهوا عليه في غير الزنى والقتل، إذ لا يباحان في الإكراه، قاله المناوي في شرحه للجامع الصغير، وللفقهاء رضي الله عنهم في الإكراه تفصيل، ومحصله أن الإكراه إما أن يكون على النطق بقول يمينا أو طلاقا أو عتاقا أو إقرارا ونحو ذلك من المعاملات والتبرعات، وإما أن يكون على فعل في نفسه أو في غيره تعلق به حق المخلوق أم لا.

❖❖❖❖

فالإكراه على الإيمان والطلاق والعتاق ونحوها هو الإكراه على الأقوال والإكراه على الحنث إكراه على الأقوال والأفعال، وإن كانت الايمان اختيارية فمعنى أكره على كذا أكره على إنشاء عقده يمينا أو طلاقا، والصيغة إما أن تكون صيغة بر هي إن فعلت أو لا فعلت، وقد تقدم قول المصنف والمنعقدة على بر بان فعلت أو لا فعلت أو حنت بلا فعلن أو إن لم أفعل إن لم يؤجل وفيهما يقول سيدي علي الاجهوري البر إن فعلت.

وأما الإكراه على الفعل فتارة يكون الفعل المكره عليه حنثا من يمين منعقدة في حالة الاختيار إكراه على الحنث فيها وتارة يكون فعلا لا تعلق للإيمان به كقتل وزنى ونحو ذلك وله تفعيل آخر.

❖❖❖❖

والمكره به الذي وقع من أجله الخوف اما قتل وإما دونه من مولم ضرب أو سجن أو قيد أو صفع لذي مروءة، أو أخذ مال فالصور أربع المكره عليه قول ودخلت فيه العقود وغيرها، وأما فعل قتل أو زنى أو ضرب أو شرب خمر وغير ذلك، والمكره به إما قتل أو خوف مولم غير قتل مما تقدم، فالشيخ خليل رضي الله عنه سوى بين الإكراه على الأقوال والإكراه على الأفعال في عدم المؤاخذة وعدم اللزوم، كان الإكراه بخوف مولم من ضرب أو سجن أو قيد أو صفع لذي مروءة، وأحرى بقتل قال رضي الله عنه مخرجا من اللزوم لا ان أكره ولو يك تقويم جزء العبد أو في فعل، إلا أن يترك التورية مع معرفتها بخوف مولم من قتل أو ضرب أو سجن أو قيد أو صفع لذي مروءة بملإ أو قتل ولده أو ماله، وهل إن كذي تردد لا أجنبي وأمر بالحلف يسلم وكذا العتق والنكاح والإقرار واليمين ونحوه هـ.

قاله وكتبه أفقر الورى إلى مولاه الفاطمي بن محمد الشرادي لطف الله به.

ح ع: 2892.

في ظلال الحديث :

الحديث الثالث والتسعون:الأضحية ومكانتها في الإسلام

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا" رواه أحمد.

تخريج الحديث

هذا الحديث أخرجه ابن حنبل في مسنده ج2/ص231/ح8256)، وابن ماجة في سننه (ج2/ص1004/ح3123)، والحاكم في مستدركه (ج2/ص422/ح3468)، والدارقطني في سننه (ج4/ص285/ح53)والبيهقي في سننه الكبرى (ج9/ص260/ح18791)، واورده الألباني في "صحيح الجامع" برقم (6490) وصححه.

درجة الحديث

حديث شريف مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم رواه أحمد، وابن ماجة، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" ورجاله ثقات.

سند الحديث

هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه فقال: حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن عياش عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة، وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة.

حدثنا أبو عبد الرحمن: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد القرشي العدوي المقرئ القصير مولى ال عمر بن الخطاب أصله من ناحية البصرة وقيل من ناحية الأهواز سكن مكة، ومات بها سنة 213هـ قال ابو حاتم صدوق وقال النسائي ثقة وقال الخليلي ثقة حديثه في الثقات يحتج به وقال محمد بن عاصم الأصبهاني سمعت المقري يقول أنا ما بين التسعين إلى المائة وأقرأت القرآن بالبصرة 36سنة وها هنا بمكة 35سنة.

حدثنا عبد الله بن عياش: هو أبو حفص عبد الله بن عياش بن عباس القتباني المصري، قال أبو حاتم ليس بالمتين صدوق يكتب حديثه وهو قريب من ابن لهيعة وقال أبو داود النسائي ضعيف وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال مات سنة 170هـ.

عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج: هو أبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني، ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة وقال كان ثقة كثير الحديث وقال علي بن المديني عن أعلى أصحاب أبي هريرة فبدأ بسعيد بن المسيب ثم قال وبعده أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو صالح السمان وابن سيرين قيل فالأعرج فقال هو ثقة وهو دون هؤلاء، وقال أحمد ابن عبد الله العجلي مدني تابعي ثقة وقال أبو زرعة وابن خراش ثقة وكان الأعرج يكتب المصاحف. مات بالاسكندرية سنة117هـ، وروى له الجماعة.

عن أبي هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر، قدم المدينة سنة سبع والرسول (ﷺ) بخيبر، فسار إليه وأسلم على يديه ولازمه ملازمة تامة رغبة في العلم، ولذا كان أكثر الصحابة رواية ببركة دعاء النبي (ﷺ)، روي عنه خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وأربعة وسبعون (5374) وقيل إن عمر رضي الله عنه استعمله على البحرين ثم عزله ثم راوده على العمل فأبى وناب عن الإمارة ولم يزل يسكن المدينة حتى توفي رضي الله عنه بها سنة 57في آخر خلافة معاوية وله من العمر78سنة ودفن بالبقيع رضي الله وأرضاه.

أهمية الحديث

هذا حديث ذو أهمية بالغة، خاصة في زماننا هذا، زمن حرب القيم، حيث من خلال أسلوب الترهيب، يحث النبي صلى الله عليه وسلم، على المحافظة على عدد من المظاهر والقيم الإسلامية، ومنها الأضحية لما فيها من تميز خاص بالإسلام والمسلمين.

المعنى العام

1. الأضحية من سمات المجتمع المسلم

إن التقرب إلى الله تعالى يأخذ مظاهر متعددة، منها الصلاة والصيام والحج والتصدق والتقرب ببهيمة الأنعام، شكرا وحمدا وتعبدا، ومن جهة أخرى فإن الأضحية مظهر مميز لأمة الإسلام عن غيرها من الأمم، حيث أنه لاينحصر في مجرد إراقة دم أو أكل لحم، بل إنه يتعداه ليكون رمزا وسمة من سمات المجتمع المسلم، وإن المحافظة على هذه السنة العظيمة، سنة أبينا إبراهيم، ونبينا المصطفى الكريم، يعد من أبرز السمات الحضارية والثقافية لهذه الأمة، ولذا وجب تجديد النظر إلى هذه العبادة الجليلة، وإن كان العلماء قد اختلفوا قديما حول وجوبها أو عدمه، فإننا اليوم نرى أنها واجبة على كل قادر كغيرها من العبادات التي تميز هذه الأمة خصوصا ونحن نعيش زمنا انجلت فيه الحجب، وتقاربت المسافات وانكشفت المجتمعات على بعضها، فعلى أمة الشهادة، إبراز وإظهار كل ما يوحي بمميزات هذه الأمة، والبعد عن كل مايسيء إلى سمعتها، ويقوض كيانها.

2. تعريف الضحية

مايذبح من بهيمة الأنعام تقربا إلى الله في يوم النحر وأيام التشريق بعد صلاة العيد، وسميت الأضحية بزمن فعلها وهو الضحى.

3. حكم الأضحية

ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الأضحية سنة مؤكدة، وذهب ربيعة، والليث بن سعد، وأبو حنيفة، والأوزاعي، رحمهم الله تعالى إلى أنها واجبة على الموسر، لقوله صلى الله عليه وسلم: "من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا".

4. عن كم تجزئ الأضحية؟

وتجزئ الأضحية الواحدة عن الرجل وأهل بيته، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن على كل أهل بيت في كل عام أضحية" رواه أبو داود وحسنه الحافظ في الفتح والألباني.

5. وقت الأضحية

يدخل وقت التضحية بعد الصلاة مع الامام في يوم العيد، لحديث البراء رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أول مانبدأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر، من فعله فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء" رواه البخاري.

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذبح قبل الصلاة أن يعيد مكانها أخرى، فقال صلى الله عليه وسلم: "من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى، ومن لم يذبح فليذبح"

ويمتد وقت التضحية إلى ماقبل غروب آخر أيام التشريق، ومن شروط صحتها على مذهب مالك أن تذبح نهارا، فلا يصح ذبحها بليل لقوله تعالى: "في أيام معلومات".

6. شروط الأضحية

يشترط في الأضحية أن تكون من الأنعام، لقوله تعالى: "ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام"الحج:34. والأنعام هي: الإبل، والبقر، والغنم.

فأما الإبل فيشترط أن تكون قد استكملت خمس سنين ودخلت في السادسة.

وأما البقر فيشترط أن تكون قد تم لها ثلاث سنوات ودخلت في الرابعة.

وأما الغنم فإن كان من الماعز فيشترط أن تكون قد تم لها سنتان تماما بينا، وأما الضأن (الخروف): فيجوز أن يضحي بما تم له سنة ودخل في الثانية.

ولايجزئ في الأضاحي المريضة مرضا بينا، والعرجاء البين عرجها، والعوراء البين عورها، والهزيلة ولا من كان قرنها يدمي لم يبرأ فإن برئ جازت، ولاتجزئ من فقدت أكثر من سن دون سبب كبر، ولا من كان أكثر من ثلث أذنها مفقودا أو مشقوقا.

ويندب فيها أن تكون سالمة من العيوب، وأن تكون سمينة، وحسنة في نوعها، ويندب إبرازها للمصلي لذبحها، وأن يذبحها المضحي بنفسه.

ويمنع بيع أو إبدال شيء منها بعد الذبح، ويأكل المضحي من أضحيته ويطعم أولاده وضيفه ويتصدق على الفقراء، فإنما المناسبة عيد، والمقصود أن تعم الفرحة المجتمع المسلم.

وأخيرا، نحث من خلال هذا المنبر كل مؤمن رحيم أن يتفكر إخوانه الفقراء والمساكين وذوي العوز والحاجة، فيعمل برفقة جيرانه على تفقد من حولهم من هؤلاء حتى تعم الفرحة حيهم، ولا خير في عيد اختلطت فرحته، ببكاء الأطفال والأرامل ومن لم يستطع إلى الأضحية، فإن من مقاصد الشريعة في مثل هذه الأيام تحقيق المحبة والإخاء، ولن يكون ذلك إلا بالتكافل والتراحم، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

حديث المنابر

الحياء

إعداد الأستاذ: عبد الله الطيبي كدية

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل الحياء خلق المومنين ونفى الايمان عمن لايستحيون، فلا حياء لمن لا إيمان له، ولا إيمان لمن لاحياء له، أشهد أنه الله لا إله إلا هو وحده لاشريك له الملك وله الحمد،خلق الإنسان وكرمه وفضله وصوره فأحسن صوره، وأحسن ماحسن به الله تعالى هذا الإنسان هو الخلق الكريم وأكرم ماكرمه به هو الحياء...فهو خلق الإسلام الأول فهو كل خير ولا يأتي إلا بخير ومن لا حياء فيه لاخير فيه... وامة ينتقض فيها الحياء.. في جماعاتها وأفرادها في ذكورها وإناثها فهي اقرب إلى الانتقاض منها إلى الثبات والرسوخ والتمكين إلا أن يتداركها الله تعالى برحمة منه فضل، وأفضل الفضل من الله تعالى على عباده أن يكونوا من أهل الحياء... فبه تتميز إنسانية الإنسان.. ومن فقد حياءه فقد إنسانيته وكان حيوانا أعجم بل أضل... وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه واستنار بنوره واستن بسنته وتخلق بأخلاقه وعلى جميع عباد الله الصالحين، من كل حي كريم قويم إلى يوم الدين .

أيها المومنون البررة الكرام، الحياء عرفه لنا فخر المغرب القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه الفريد الفذ الشريف الشفا بتعريف حقوق المصطفى فقال: "الحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل مايتوقع كراهيته، أو ما يكون تركه خيرا من فعله (.../...) وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أشد الناس حياء واكثرهم عن العورات إغضاء (...)فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه، وكان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لايشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس...

أيها المومنون البررة الكرام، إذا كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها.. فما بال عذارانا اليوم خرجن من خدورهن بل لم يعدلهن خدور.. فهن كاسيات عاريات مائلات مميلات في الطرقات والمسابح والمقاصف والملاهي متبرجات لايعرفن فضيلة الحياء وهو رأس الفضائل وأساسها.. مابال شبابنا من الذكور فقدوا كرم النفس فاستحبوا الضلالة على الهدى وأصبحوا لاغيرة لهم على أخواتهم والنصف الجميل اللطيف من أمتهم ياشبابنا من ذكور واناث اتقوا الله في نفوسكم، اتقوا الله في طهارة فطرتكم ونقائها عودوا إلى حيائكم .

أيها المؤمنون البررة الكرام، إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فيما حدثتنا به عند الصديقة ابنة الصديق رضوان الله عنهما لم يكن فحاشا ولامتفحشا ولامنحابا في الأسواق ولايجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح... فما بال شبابنا وشاباتنا ومعهم الكثير من كهولنا وشيوخنا اليوم تخلوا عن التاسي بخير خلق الله على الإطلاق... أرغبة عن سنته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أليس هو القائل من رغب عن سنتي فليس مني"... وليس من سنته أن يصبح كل من الرجل والمرأة صفيق الوجه مجاهرا بالمعصية لاحياء له.. ولربما يفخر بالعري ويعتز بارتياد أماكن الفحش والتفحش ويعتبر ذلك حرية وانطلاقا... ويعتز بأن يجازي السيئة بمثلها ويعتبر ذلك حرية فكر ودفاعا عن الحقوق.. ولايعفو ولايصفح ويعتبر العفو والصفح ذلة.. لقد انقلبت الموازين وعكست القيم عند من لا خلاق لهم.. وصدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ماشئت".

أيها المؤمنون البررة الكرام، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "الحياء من الإيمان" وهذا يعني بكل بساطة أن من لاحياء له لاإيمان له..وقال أيضا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "الحياء خير كله" وفي حديث آخر "الحياء كله خير" وهذا نستنتج منه بكل بساطة أن من فقد الحياء فقد الخير كله فهو شر كله...

إن الإنسان الحي يستحيي من الله ومن الناس فلا يأتي من الأعمال أو يدع في سره وعلانيته إلا مايتفق وفضيلة الحياء التي كرمه الله تعالى بها وحقق بها إنسانيته..الإنسان الحيي يرى بعين البصر والبصيرة والعقل والواعي والقلب المتبصر آلاء الله تعالى ونعمه عليه التي لاتعد ولاتحصى فهو يستحيي أن يراه الله تعالى يحدث نفسه باقتراف بمصعية أو يقدم على خطيئة لأنها الخطايا والمعاصي جحود وكفران بنعم الله.. الإنسان الحي يحقق بحيائه إنسانيته ويحيا في دنياه إنسانا حقيقيا ويلقى ربه إنسانا حقيقا لابهيمة ضالة فهو في حيائه إنسان واع يعرف القبيح من الأمور والأعمال والنوايا فيشمئز منها ويعافها ويبتعد منها كما يبتعد السليم من الأجرب.. إن الإنسان الحي إنسان حق يعرف حق الله فيؤديه عن طيب خاطر حبا لله وإرضاء له.. ويعرف حقوق العباد فيعمل على أدائها حبا لهم في الله وخشية وحياء منه جل وعلا أن يلقاه فيسأله عما أكل من حقوق عباده أو سطا عليه أو اغتصبه من ذلك ظلما وعدوا وبهتانا وزورا..

ايها المؤمنون البررة الكرام، روى الإمام النووي رحمه الله تعالى ورضي عنه عن الإمام أبي القاسم الخبير رحمه الله تعالى ورضي عنه انه قال: "الحياء رؤية الآلاء (أي النعم) ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء" فاللهم اجعلنا من أهل الحياء منك أولا ومن خلقك بعدك ارضاء لك، واعصمنا بهذا الحياء من السقوط والتروي في مهاوي والمعاصي والخطايا... اللهم اجعلنا بجبالنا منك ثم من خلقك في نمو دائم وسمو مستمر وعلو لاينحدر فلا نرى لنا فيه لأنفسنا فضلا... بل لك الفضل فيه أولا وآخرا، ولانرى فيه لأنفسنا إلا التقصير منا والفضل الغامر العميم الجم منك فنداب على طلب المزيد منه بالحياء...فيزداد لنا به الإيمان ونزيد عملا بالاحسان كأننا نراك حتى نلقاك فنراك وذاك منك لنا إذ ذاك المزيد.. ياذا الجلال والإكرام.. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل عباده المؤمنين حقا يحققون إيمانهم بالإحسان، وجعل إحسانهم يتحقق بحقيقة يقينهم بأن الله يراهم وإن لم يروه وجعل دليل هذا اليقين في حيائهم منه جل وعلا أولا ثم من عباده بعده.. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الحيي الأمين وعلى آله وصحبه ومن والاه وعلى جميع عباد الله الصالحين من أهل الحياء إلى يوم الدين.

أيها المؤمنون البررة الكرام، كيف نحقق فضيلة الحياء في أخلاقنا وأعمالنا ونوايانا في الغيب والشهادة والسر والعلن؟ تجيبنا عن ذلك المرأة الصديقة ابنة الصديق التي كانت وأبوها أحب الناس إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، إنها عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما وارضاهما، وهاكم الشيم والخصال التي بها يتحقق الإنسان المؤمن بالحياء ويحققه كما فصلتها لنا أمنا عائشة رضي الله عنها:

. صدق الحديث: فالمؤمن الحق يستحيي أن يكذب حتى مازحا...

. أداء الأمانة: فالمؤمن الحق يستحيي أن يوصم بالخيانة.

. صلة الرحم: فالمؤمن الحق يستحيي أن يلقى الله وهو قاطع لرحمه.

. المكافأة بالضيع: فالمؤمن الحق يستحيي أن لايكافئ من أسدى إليه صنيع.

. جميل ومعروف ولو بالدعاء بالصالح الصادر عن القلب الشاكر.

. بذل المعروف: فالمؤمن الحق يستحيي أن يكون عمل من أعماله في غير بذل معروف أو سعي في مصلحة يعم خير فردا أو جماعة من عباد الله.

. حفظ الذمام للجار والصاحب: الذمام هو العهد والأمان والكفالة والحق والحرمة... والجار له ذمامه والصاحب له ذمامه والمؤمن الحق يستحيي من الله تعالى أن يراه يخون ذمام جاره أو صاحبه ولو في ابسط الأمور.

. قرى الضيف: وهو إطعامه وإكرامه بما تيسر في غير تكلف.. والمؤمن الحق يستحيي من الله تعالى الا يكرم ضيفه ويستحيي من الله أن يتكلف له بما هو فوق طاقته، فيقديه وهو له كاره..

وتقول مولاتنا عائشة رضي الله عنها: "ورأسهن الحياء" ورأس هذه الأخلاق الكريمة التي ذكرناها كلها هو الحياء فهو أساسها الذي تنطلق منه وهو أيضا غايتها التي إليها تنتهي.. فاللهم اجعل مكارم الأخلاق أخلاقنا واجعل تحقيقها أعمالنا، واجعل الحياء رأسها منطلقنا وغايتنا اللهم حقق إيماننا بالحياء، وثبت إحساننا بالحياء، ومكن إسلامنا الذي ترضاه منا بالحياء.. اللهم اجعل الحياء ميزان صدقنا المرهف في تعاملنا معك ومع خلقك.. وارض عنا بحيائنا.. وأرنا به الحق حقا فنتبعه حياء منك أن ترانا عنه ناكبين.. وأرنا به الباطل باطلا فنتجنبه حياء منك أن ترانا فيه مرتكسين... اللهم اكس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها سربال الحياء حتى يستحيي الكبير من الصغير ويستحيي الصغير من الكبير، فلا يخدعه أو يكذب عليه من أجل لعاعة من الدنيا والدنيا كلها أهون على الله من جناح بعوضة.

أمير المؤمنين مولانا سادس المحمدين، اللهم كن له الولي والنصير، والمعين والسند والظهير، والحامي والواقي والمجير، ويسر له إلى الخير والبر والفضل كل أمر صعب عسير، وأصلح له الحاشية والبطانة والوزير، وأقر عينه بولي العهد المبارك الفرحة الكبرى والبشرى الدائمة، وأنبته نباتا حسنا، اللهم أقر عينه بشقيقه السعيد السديد الرشيد مولانا الرشيد وبكل أهله وشعبه... اللهم ارحمنا وارحم والدينا ومعلمينا ومن له الفضل علينا وأحياءنا وأمواتنا، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما، واغفر لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه إلى يوم الدين... والحمد لله رب العالمين.

علم التوقيت ، والاختراع المغربي في آلة ربع الشعاع

- الحلقة الثانية-

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

■ ولقد رأيت في بعض الطرر على إحدى المخطوطة المقدمة التي عندي ، أن المقالات الأربع لم تخرج من المبيضة، وذكر الزركلي في " الإعلام" عند ترجمة عبد السلام العلمي أن الأستاذ الشيخ المنوني رحمه الله تعالى عنده نسخة من المقدمة . انتهى.

ولما سألته عنها قال لي إنها غير تامة . وقد سألت الأستاذ بن عبد الرزاق موقت مراكش عن نسخة تامة للمقدمة، فأجاب: إنه لم يعثر على نسخة تامة، كما ذكر لي بعض الباعة المتجولين المهتمين بجمع المخطوطات النادرة، أنه لم يعثر على نسخة تامة منذ زمان، وتنقصها خمس أو أربع مقالات.

كما توجد مقالة واحدة في علم الحساب من المقدمة بالخزانة الملكية رقم 7107.

ولكن، ما معنى كلام المؤلف في شرحه الصغير على الوزكاني حيث يقول . جمعت تلك المسودات، وبوبتها ورتبتها، فجاءت مشتملة على سبعة عشر علما) انتهى.

يفهم من كلامه هذا أنه فعلا ألفها وجمعها وأتمها وإلا لما جاء كلامه بهذا المعنى ، كما أحال عليها في كتابه (ضياء النبراس) عند شرحه للفظة مغناطيس.

ونعود إلى هذه الشخصية الموسوعية لنلقي بعض الأضواء على مكانته وتضلعه في علمي الهيئة والميقات، فنلاحظ أنه كان رحمه الله ذلك العالم الثبت الخبير المتضلع يضع القواعد مختصرة جامعة مانعة، في أسلوب علمي دقيق ، مع الملاحظة والتنبيه، ومن تتبع شرحه على الوزكاني المطبوع يلمس ذلك، وكدليل على سعة اطلاع هذا الرجل في هذا الميدان تجده يشرح كتابا ، ويعترض على كتاب آخر، وعلى من شرحه من ألمة هذا الشأن.

ففي «أبدع اليواقيت ، الذي هو شرح «أرجوزة الوزكاني» المطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس عندما تعرض الناظم لمعرفة عرض البلد بقوله:

تمامها العرض إن الميل طرح
منه جنوبا لا شمالا يصح

وبعد أن شرح هذا البيت شرحا مستوفيا ، عقد فصلا بين فيه خطأ كان شائعا عند علماء التوقيت والهيئة ، ووجه الانتقاد إلى صاحب (روضة الأزهار) أبي زيد عبد الرحمان بن غالب الجادري، وذلك عند قوله:

أوغاية ارتفاع نجم لا يغيب ، وغاية انخفاضة خذ يالبيب، وأجمعهما ونصفه عرض البلد،

انتهى كلام (الروضة):

ثم يعلق الأستاذ العلمي على هذا بقوله مع أن ما ذكره خاص بما إذا كانت غايته في جهة واحدة كما قدمنا، والعجب منه، ومن جميع من رأينا من شراح كلامه، كالبعقيلي والمطرفي، وكذلك المواسي، مع تحقيقه كيف تبعوه على ذلك ، ولم ينبهوا عليه ، فسبحان من أعجز الخلق عن إدراك حقائق الأمر إلا فيما نفذت فيه مشيئته ، وسبق به علمه ، وقد كنت قيدت كلام الجادري بهذه الأبيات:

هذا إذا اتفقنا في الجهة
وإن تخالفنا فاحفظ ما يأتي
فنصف الفضل بين الغايتين
هو تمام العرض دون مين
أو زد تمام... إلى آخر ما قال، وغاية الارتفاع عند علماء الفلك نوضحها كما يلي:

من الدوائر المهمة الرئيسية في علم الهيئة: دائرة نصف النهار، وهي دائرة تمر بسمتي الرأس والقدم وبقطبي العالم، وبجهتي الجنوب والشمال، ونصف هذه الدائرة فوق الأفق، والنصف الآخر تحت الأفق ، ومعلوم أن نصف كل دائرة يساوي 180 درجة ، وربع هذه الدائرة من نقطة الجنوب على الأفق إلى سمت الرأس يساوي 90 درجة ، وكذا ربعها من نقطة الشمال على الأفق إلى سمت الرأس يساوي 90 درجة ، وجميع الكواكب التي نراها تطلع من الشرق وتغرب جهة المغرب، كلها تقطع هذه الدائرة، وإذا قلنا تطلع أو تغرب نعني مجازا، وإن كانت الأرض هي التي تنقلب عنها من الغرب إلى الشرق ، فتحصل لدينا ربعان من الدئرة.

نصف النهار ربع شمالي عن سمت الرأس وربع جنوبي ، فإذا وصل كل كوكب إلى دائرة نصف النهار يكون بلغ غاية ارتفاعه عن الأفق ، فإن كان توسطه على الربع الجنوبي كانت الغاية جنوبية ، وإن توسط على الربع الشمالي كانت الغاية شمالية، أو لنقل: حينما يتوسط الكوكب على دائرة نصف النهار استقبل عين المشرق ، فإن كان الكوكب على جهة يمينك فالغاية جنوبية، وإن كان على يسارك فالغاية شمالية ويحدث بعض الأحيان في العروض الكثيرة الشمالية . مثلا . أن بعض الكواكب الدائمة الظهور أي تدور على القطب الشمالي تكون لها غاية سفلى ، وهذه الغاية تكون طبعا شمالية ، وتكون لها غاية عليا تكون جنوبية، فتخلفت الغايتان في الجهة، وإذاك نطبق عليا قول الأستاذ عبد السلام العلمي:

فنصف الفضل بين الغايتين
هو تمام العرض دون مين

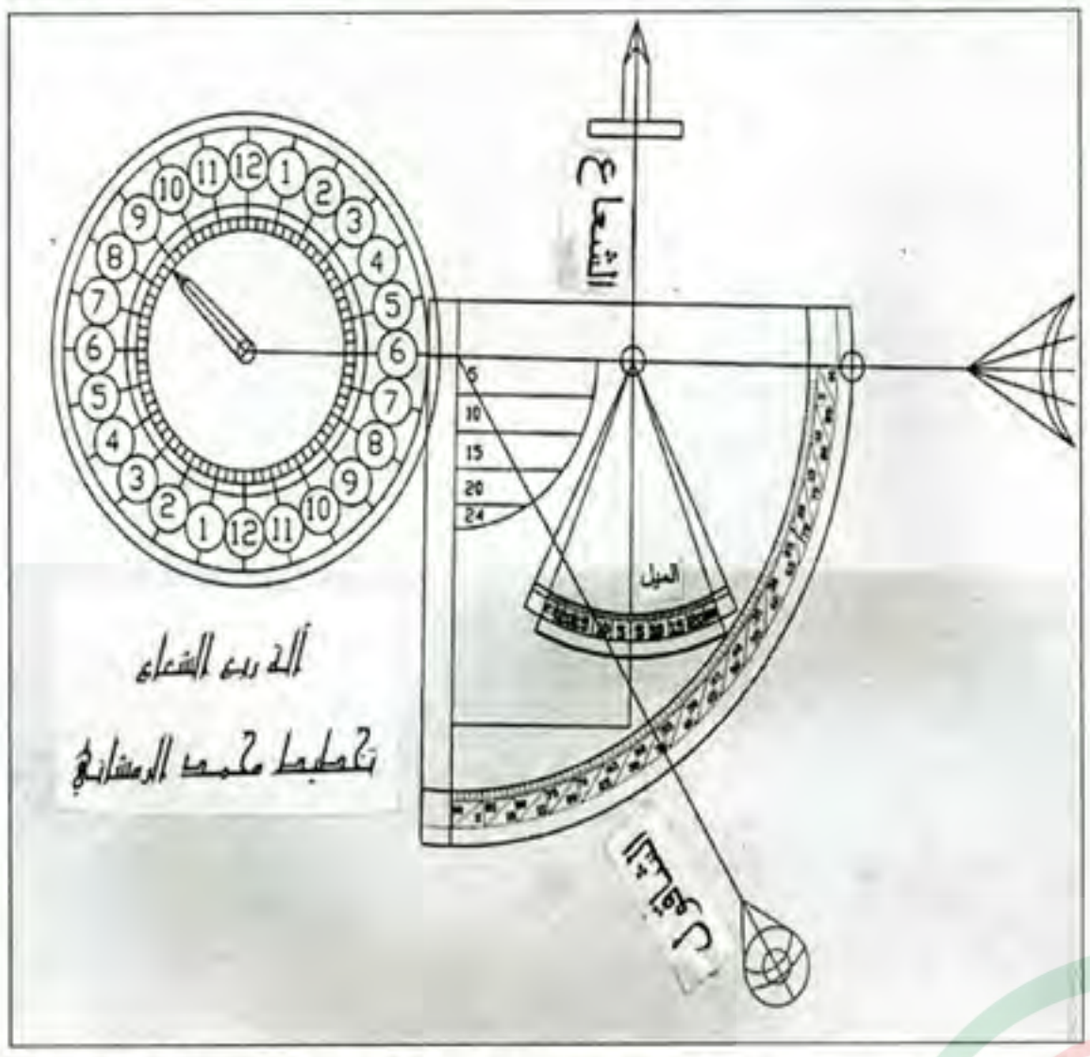

ويتجلى تصوير ذلك على الكرة الاصطناعية السماوية المعروفة (بذات الكرسي)، فإذا رصدنا مثلا في مكان شمالي الكوكب المسمى بالنسر الواقع، ووجدنا غايته السفلى تساوي عشر درجات، وهي غاية شمالية، ورصدنا غايته العليا ووجدناها تساوي70 درجة ، وهي غايته الجنوبية، فأخذنا الفضل بين الغايتين وهي 60 درجة، نصفنا ذلك النصف 30 درجة طرحناه من 90 درجة تمامها وهو 60 درجة يكون هو عرض ذلك المكان الذي وقع فيه الرصد، وحقيقة العرض هي زاوية ضلعها خط يخرج من خط الاستواء إلى مركز الأرض ، وخط يخرج من مكان الرصد إلى مركز الأرض، بحيث يجمع بين الخطين قوس على سطح الأرض يوازي قوسا من دائرة نصف النهار لذلك المكان ، وهكذا نجد في عرض 60 شمالا كواكب أخرى دائمة الظهورمثل رجل المرأة المسلسلة والعيوق، والردف ، وصدر الدجاجة ، إلى غير ذلك من الكواكب والصور التابعة لها.

والحقيقة أن الأستاذ العلمي لم يكن من أولئك العلماء الجامدين المقلدين تدورمعارفهم حول قواعد من سبقوهم ، فإذا تعرضوا إلى سؤال أو مشكلة فنية رجعوا إلى المظان، فإن لم يجدوا ما يشفي الغليل، وقفوا واعتذروا وكفوا عن البحث والتجربة.

فعندما تعرض إلى سؤال من بعض الطلبة بمكناس تستمع إليه وهو يجيب، ففي المقالة 13 من المقدمة / الفصل الثالث يقول:

الفصل الثالث في تخطيط الرخامة المنحرفة عن عين المشرق بتسعين درجة، وهي المواجهة لعين المشرق أو لعين المغرب الحقيقية.

اعلم أني لم أر من تعرض لتسطيرها، وقد طلب مني تخطيطها بعض الطلبة بمكناسة الزيتون ، فاستعملت الفكر في تسطيرها بعلم الهيئة، ففتح الله علي فيها، وفي ذلك أقول: إلى آخر ما قال.

ومع دقة السؤال ، وتعقيد تصوير الهيئة، وعدم المراجع، لم يبق رحمه الله مكتوف الأيدي، بل سارع إلى التجربة والاختبار ، فوفق رحمه الله إلى ذلك. كان هذا الرجل هكذا وهو في نهاية القرن التاسع عشر.

والعلمي . رحمه الله . لم تنحصر مداركه ومعارفه العلمية في علمي الفلك والرياضيات، بل ترك لنا آثرا حسنا في علمي الطب والصيدلة، وانظر بقية الكلام عن هذا العالم الجليل وعن اسهاماته المتميزة في المقال المنشور لنا في مجلة دعوة الحق العددان 351 . 352.

ولنعد الآن إلى الكلام على آلة ربع الشعاع.

وهي آلة مرنة سهلة الاستعمال، خفيفة الحمل، عجيبة الصنع، تنبئ عن مدى روعة فكر مخترعها، ومدى رسوخ قدمه في علمي الهيئة والميقات ، وقد تعرض المخترع لكيفية صنع هذه الآلة ووضع هندستها في المقالة (13) من المقدمة المشار إليها.

وبالرجوع إلى المؤلف الذي ألفه مخترعها رحمه الله ، نجد التوضيحات الكافية في بيان رسومها وكيفية العمل بها، وقد رأيت أن أدرج الكتاب المذكور بكامله نظرا لصغره وفائدته.

(يتبع)

كيفية أداء مناسك الحج والعمرة باختصار على مذهب الإمام مالك (رضي الله عنه)

الحلقة الأخيرة

■ إعداد الأستاذ أعمون مولاي البشير

■ وهذا السعي ركن من أركان الحج التي لا تنجبر بالدم إذا تركت.

والآن وقد طفت طواف القدوم وسعيت بين الصفا والمروة يمكنك أن تذهب إلى منزل مطوفك لتستريح واحذر من الوقوع في شيء من محرمات الإحرام واحرص على أداء الصلوات المفروضة في المسجد الحرام فإن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة فيما سواه وكذلك كل عبادة فيه يتضاعف ثوابها بمائة ألف وعد إلى قراءة التلبية ولا تقطعها كذلك حتى يصل اليوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم التروية يوم الخروج من مكة إلى منى للمبيت بها حتى فجر يوم عرفة وهذا المبيت سنة حيث فجر يصلى فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح لليوم التاسع وهو يوم عرفة . فإذا صليت الصبح فتوجه إلى عرفات للوقوف بها والوقوف بعرفة هو الركن الثالث من أركان الحج التي لا تنجبر بالدم، ووقت الوقوف هو من بعد صلاتي الظهر والعصر جمعا بينهما جمع تقديم وتقصير وذلك في مسجد نمرة بعرفات ويستمر الحاج واقفا بعرفات أو قاعدا من ذلك الوقت إلى ما بعد الغروب بقليل وإدراك جزء من الليل قليل ، ولا تصم بعرفة فصيامه غير مستحب للحاج وأكثر من الدعاء والذكر والتلبية وتلاوة القرآن والصلاة على النبي (ﷺ) واعلم أن هذا اليوم لا عوض له في الدنيا فاغتنم فيه الفرصة بالدعاء والذكر والتوجه إلى الله فقد قال صلى الله عليه وسلم أفضل الدعاء دعاء عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

فإذا غربت الشمس فلا تصل المغرب بل أخر الصلاة إلى المزدلفة فإذا وصلت المزدلفة فانزل بها وتوضأ وأذن وأقم وصل المغرب والعشاء جمعا بينهما جمع تأخير ، ثم اجمع من هناك والتقط 70 حصاة في حجم الفول ، سبعة منها لرمي جمرة العقبة ليوم العيد ، والنزول بمزدلفة واجب من واجبات الحج ويحصل قدر الواجب بحط الرحال وأداء الصلاة وجمع الحصيات وتناول الطعام،والأفضل أن تبيت بمزدلفة إلى الصباح كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا طلع الفجر فصل ثم توجه إلى المشعر الحرام وقف وادع كما هو السنة وقبل طلوع الشمس سر إلى منى فإذا وصلتها فاقصد جمرة العقبة مباشرة لأن رميها تحية منى فارمها بسبع حصيات، وكيفية الرمي هو أن تقف أمام جمرة العقبة جاعلا مكة عن يسارك ومنى عن يمينك وارم بيدك اليمنى سبع حصيات واحدة واحدة مكبرا مع كل حصاة قائلا الله أكبر 3 مرات ولا ترم بالحصيات دفعة واحدة كما يفعله بعض الجهال فإنه لا يجوز .فإذا فرغت من رمي الجمرة فاذهب حينا إلى مكة لتطوف طواف الإفاضة الذي هو الركن الرابع من أركان الحج.

وافعل في طواف الإفاضة كما فعلت في طواف القدوم فتنوي فيه أنه ركن من أركان الحج فإذا كملت الطواف فصل ركعتين خلف مقام إبراهيم كما هو الواجب واشرب من ماء زمزم فلا تسع في هذا الطواف لأنك قدمت السعي بين الصفا والمروة في طواف القدوم فالسعي واحد لا يتكرر ، ثم ارجع إلى منى ، واذبح إن شئت لأن الأضحية لا تجب عليه واحلق رأسك فهو واجب من واجبات الحج وتنظف والبس ملابسك العادية فقد تحللت من جميع محرمات الإحرام.

والآن يلزمك أن تخرج فدية واحدة عن الحزام وعن كل ما وقع لك أثناء إحرامه، والفدية كما تقدم لك وارجع إلى منى لتبيت بها ثلاث ليال ولترمي بقية الجمرات الثلاث. والمبيت بمنى ثلاث ليال ورمي الجمرات الثلاث واجب من واجبات الحج فإذا أردت أن تبيت ليلتين فقط بمنى فعليك أن تنفر منها قبل غروب الشمس من اليوم الثالث أي ثالث العيد ليسقط عنك الرمي في اليوم الرابع قال الله تعالى " فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى".

أما وقت الرمي فهو كما يلي:

الجمرة العقبة هي التي ترمى وحدها يوم العيد ووقتها من طلوع فجر العيد إلى غروب الشمس أما الجمرات الثلاث التي ترمى في أيام التشريق فوقت الرمي فيها يبدأ بعد الزوال من يوم ثاني العيد فتبدأ برمي الجمرة الكبرى التي تلي مسجد الخيف ثم الوسطى ثم جمرة العقبة بسبع حصيات في كل جمرة على الكيفية التي رميت بها يوم العيد.

وحاصل الأعمال التي يطلب من الحاج أن ياتي بها يوم العيد هي أربعة:

1 . رمي جمرة العقبة 2 . الذبح إن وجب عليك 3 . حلق شعر الرأس أو تقصيره.4 طواف الإفاضة فاحرص أيها الحاج على أن تفعلها مرتبة لتوافق السنة وإذا لم يتيسر لك ترتيبها فابدأ أولا برمي جمرة العقبة ثم اتبع بما تيسر لك منها إما حلق أو طواف أو ذبح.

وبعد انقضاء أيام التشريق بمنى ارجع إلى مكة فقد تم حجك واطلب من الله القبول.

فعليك أن تأتي بالعمرة الآن لأنك دخلت بنية الحج مفردا وقد انتهى الحج وبقي عليك أداء العمرة، وكيفية العمرة هي أن تغتسل في محلك بمكة غسلا كغسل الجنابة وتلبس ملابس الإحرام ثم تركب سيارة إلى المكان الذي يسمى بالتنجيم وهناك تجد مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها فصل بهذا المسجد ركعتين سنة الإحرام وذلك بالفاتحة والكافرون في الأولى والإخلاص في الثانية ثم تنوي الإحرام بالعمرة وتنوي كذلك عند عقد حزامك أن تفدي فدية واحدة عن ذلك الحزام وعن جميع ما ينصدر منك خطأ أو نسيانا من المخالفات. ثم تقول اللهم إني نويت الإحرام بالعمرة فيسرها لي وتقبلها مني وتشروع في قراءة التلبية وتكثر منها وأنت راجع إلى مكة ، فإذا وصلت المسجد الحرام فادخل من باب العمرة وطف بنية طواف العمرة سبعة أشواط وصل ركعتين خلف مقام إبراهيم واستلم الحجر الأسعد واشرب من ماء زمزم ، ثم اخرج من باب الصفا واسع بين الصفا والمروة بنية سعي العمرة ، وبعد الانتهاء من السعي احلق رأسك ، وبذلك تنتهي أعمال العمرة ، ويفك الإحرام وتلبس ملابسك العادية وتذهب حينا إلى إخراج الفدية عن العمرة وهي كما تقدم: إما إطعام ستة مساكين لكل مسكين مدان أو صيام ثلاثة أيام، أو ذبح شاة على التخيير في ذلك.

وعندما تعلم أنك ستغادر مكة احزم أمتعتك واجمع حوائجك ، وقبل السفر توجه إلى الكعبة وطف طواف الوداع مراعيا فيه كل ما تعلم من الطواف وصل ركعتين بعده خلف المقام واشرب من ماء زمزم وعد إلى الملتزم والصق صدرك بحائط البيت وتذكر بأنك تودع أسمى وأشرف وأعز بقعة على وجه الأرض فادع بما شئت مؤمنا واثقا بأن دعاءك مستجاب لا يرد وبذلك تنتهي أعمال الحج والعمرة باختصار .

حضارة الإسلام مرحلة حاسمة في تاريخ الإنسان

■ إعداد الأستاذ : عثمان بنخضراء

■ لقد جاء الدين الإسلامي على خلاف كل ما سبقه من الأديان معبرا عن النقلة الحضارية الكبيرة القائمة على سيادة العقل البشري وتحكيمه في كل ما يتعلق بحياة الناس

ويكفي في هذا المجال أن نذكر أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لم يستند في إقناع الناس إلى معجزة أو خارقة، وإنما استند على الدليل والبرهان العقلي، وكان تحديه للناس عقليا ومعجزته. وبانتقال الناس من الوحدة الاجتماعية المتجانسة في القبيلة إلى وحدة اجتماعية أشد تعقيدا وكثر اختلاف المصالح وتضارب رغبات وما يتبع كل ذلك من تنافس وتناحر وتكالب على الثروات التي تجود بها التجارة، وكل ذلك مما يهدد سلامة الإنسان ويعرض كيان المجتمع للتمزق والانهيار، كانت الحاجة إلى تنظيم المجتمع ماسة ، وكانت مدينة « مكة » التجارية نموذجا مصغرا لكل أدواء المرحلة الحضارية الجديدة . ولذلك اهتم الدين الجديد بتنظيم حياة الناس في مجتمع المدينة المعقد ، وزواج بين الجانب الروحي(وهي ما يسمى بالجانب الديني) والجانب الاجتماعي بأن جعلها بمثابة وجهي العملة الواحدة ليحدث التكامل في شخصية الفرد ويتم الانسجام بين متطلبات الروح وتطلعاتها وحاجات الجسد ورغباته بما يحقق سعادة الفرد وينتهي بخير المجموعة. ومن ثم كانت كل قيم الدين الجديد وكل الطقوس والعبادات التي ترمز إليها وتعبر عنها مرتبطة ارتباط تلازم بحياة المجتمع وقضاياه.

فهو من هذه الناحية ليس دينا روحيا كبقية الأديان ، بل هو دين اجتماعي أيضا، ومن هنا كان تأثيره بعيد المدى على حياة الأفراد والجماعات التي تعتنقه. إذ هو لا يكتفي بتنظيم علاقة الانسان بربه فحسب ، ويكتفي في ذلك بطقوس العبادات وشعائرها، بل يسعى إلى تنظيم حياة الأفراد الخاصة ويربطها بحياة المجتمع العامة، ويربط الحياتين معا بالمثل الإنسانية العليا التي هي تراث البشرية جمعاء وبذلك تتداخل كل هذه العلاقات وتتشابك بحيث يصبح الواقع صورة للمثال ، والمثال تعبيرا عن الواقع ، وتصبح مصلحة الفرد هي مصلحة الجماعة ومصلحة الجماعة هي مصلحة الفرد ، وتكون العبادات سبيلا إلى المعاملات ، والمعاملات ضربا من العبادات. وذلك كانت كل طقوس العبادة في الإسلام لا تهدف إلى الخلاص الفردي بقدرما تهدف إلى إصلاح حياة المجتمع بتنشيط التعاون والتكافل الاجتماعي مثل ما هو الحال في الزكاة والحج والصوم. وحتى العبادة الرمزية المجردة في الإسلام وهي الصلاة غايتها النهي عن الفحشاء والمنكر وهما يضمان فيما بينهما كل شرور الحياة الاجتماعية ، وكل ما ينكره الناس من مسلك وتصرف ومعظم هذه العبادات جماعية ليتضاعف أثرها في حياة الناس وكل ذلك مما يقوى من ترابط المجتمع ويؤكد ترابط أفراده وتعطي العلاقات بين الأفراد من القوة بحيث تفوق رابطة علاقة الدم ولذلك عبر القرآن الكريم والسنة الشريفة بالأخوة فقال تعالى « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » وقال صلى الله عليه وسلم « المسلم أخو المسلم»

فالإسلام ينتظم حياة الروح وحياة الجسد في الفرد والجماعة، والمسؤولية فيه مسؤولية جماعية اجتماعية ، وليست حكرا على جماعة بعينها تدعي الوصاية على الأمة . بل إنه من ناحية نظرية ليس في الإسلام مكان لأحد غير إجماع الأمة . ولهذا السبب انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى دون أن يختار خليفة له، بل ترك أمر الخليفة لإجماع المسلمين ، ومعنى ذلك أنه ليس هناك مناصب دينية لحكام يتصرفون في أمور الناس بالحق الإلهي مثلما هو الحال في البابوية مثلا، وليس هناك كهان أو وسطاء يقومون بين الناس وبين ربهم. وإنما هو نظام السيادة فيه للشعب الذي يعبر عن إرادة الله . ولذلك جاء في الحديث الشريف « إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ومن هنا كان إجماع الأمة هو الأصل الرابع بعد القرآن والسنة والقياس في التشريع الإسلامي.

وبحكم هذا الربط القوي بين المسؤولية الفردية وبين المسؤولية الجماعية ووصلهما بالمثل الإنسانية العليا المشتركة بين بني البشر تخطت شخصية الرجل المسلم كل حواجز العنصر واللون والإقليم واللغة والطبقة مكونة النموذج الأمثل للمواطن الإنسان حيث كان هذا الإنسان مهتديا بقوله تعالى: « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» وبذلك لا يصبح المسلم مواطنا إنسانا فحسب ، بل يصبح مواطنا عالميا أيضا . وعلى هذا فإن النظام الإسلامي لا يكتفي بالنصح والموعظة الحسنة وحدها ، بل يسعى إلى صياغة شخصية الرجل المسلم صياغة تقربه من نموذج المواطن الإنسان هذا . ومن هنا يجيئ هذا الإلحاح الكبير على جزئيات السلوك وتفصيلات المعاملات بحيث يتوخى الانسان في كل عمله ، وقوله ، الصدق، والعدل وكرامة الإنسان متخذا من رسوله الأكرم الذي وصفه ربه بأنه على خلق عظيم، القدوة والأسوة ، ومن هنا يحدث التجانس بين الأفراد وتعم الوحدة الروحية والاجتماعية حياة المجموعة المسلمة حيثما كانت في بقاع الأرض وأقطارها .

وبهذه لا يصبح المسلم وقد تعاورت على حياته كل هذه العوامل الروحية والاجتماعية صورة مصغرة لمجتمعه الخاص فحسب ، بل يصبح صورة مصغرة لكل مجتمع مسلم في كل زمان ومكان ، ومن هنا يكتسب عالميته وهذا هو السر الكامن وراء تعاطف المسلمين وتوددهم والفتهم بعضهم لبعض أينما التقوا ومهما اختلفت ألوانهم وأجناسهم وأوطانهم. فحضارة الإسلام إذن تعبير عن مرحلة حاسمة في تاريخ الإنسان تفصل بين عهدين عهد طفولة الفكر الانساني وبداوة الحياة الاجتماعية ، وعهد نضج العقل البشري وارتباط مصير الانسان بأخيه الانسان في حياة اجتماعية تتجاوز كل الحدود والاقليميات ليصبح مسرحها العالم بأكمله.

هذه الحضارة التي تعبر عن هذه المرحلة وما يتلوها من مراحل قد فطنت منذ البداية إلى احتدام هذا الصراع الكبير بين روح الإنسان وجسده فسعت إلى إقامة ميزان تعادل بينهما ينجم عنه تكامل الشخصية الإنسانية ويتولد منه مجتمعالكفاية والعدل

. ولذلك فقد خلقت مجتمعا لامكان فيه لدين انطوائي يحلق بالناس في متاهات الغيب ويتولى السلطة فيه طغاة يتلقون وحيهم من خارج حياة الناس ، بل جعلت الدين جزءا من الدنيا وكل طقوسه وعباداته مسخرة لخدمة أغراض الحياة ومثلها الاجتماعية العليا التي هي نفس المثل الدينية . ولامكان فيه لدنيا ينطلق الناس فيها على هواهم دون وازع أو رادع زاعمين أنها الحرية وشجاعة الاختيار في حين أنها ليست سوى إطلاق للنزوات والشهوات هي حضارة شاملة تجمع كل تراث البشرية الروحي وتوجهه لخدمة غايات الحياة لتخلق الفرد المؤمن بربه المتعاطف مع أخيه الانسان العامل لخير نفسه وخير مواطنيه ومجتمعه وخير الانسانية جمعاء ، لأنه يعلم أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. ولأنه لا يكاد يجد في الكتاب المبين آية تحثه على عبادة ربه إلا وهي مقترنة بدعوته إلى العمل الصالح ، وبذلك يصبح العمل الصالح عبادة يثاب عليه الناس كما يثابون على العبادة، بل إن هناك من الإشارات ما يفيد برجحان العمل على ما سواه من عبادة لأن العمل صلاح لحياة الناس مباشرة والعبادة صلاح غير مباشر.

فمكان الدين بمعناه الخاص في الحضارة الإسلامية متفرد لا يكاد يجاوز حدود الأسس العامة المتفق عليها بين البشر كما يقول المفكر الإسلامي عون الشريف قاسم من السودان ثم ينفتح الباب واسعا لحرية الفكر وحرية التطور، ويكفي في هذا أن الدين يدعو إلى إباحة تأويل ظاهر النص بما يستقيم ومفهوم العقل. وبهذا المفهوم الثوري في إدخال الدين في حياة الناس بحسبانه مستودع التراث الروحي للإنسان ليكبح جماح الشهوات ويوجه الناس للعمل الصالح محررا بذلك إرادة الإنسان من قيود الأنانية ونزوات النفس الأمارة بالسوء وفاتحا المجال لعقله ليتفكر في خلق السماوات والأرض. بهذا المفهوم الثوري الذي يربط بين الدين كموجه لا كقيد، وبين الدنيا كإنجاز وتحقيق وبين العقل كرائد لا يكذب أهله انفتح المسلمون الأول على الدنيا وأقاموا حضارة لا تعصب فيها ولا جمود وإنما هي إنجاز بشري في كل مجال من مجالات الإبداع في البناء والتعمير والاقتصاد والعلم ولقد كان الدين انفتاحا على الحياة لا إلغاء لها لقد كان حافزا على إقامة المجتمع الإنساني الفاضل المليئ بالحركة والعلم المتفتح على كل ثمرات الحياة وصدق الله العظيم» واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا».

خواطر وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

مشاهد ومواقف شجاعة في مواجهة المعتدين

■ تستمر الدبابات والجرافات الصهيونية في اقتحامها وهدمها وتدميرها للمنازل الفلسطينية في غزة ونابلس وطول كرم بينما أطفال الحجارة يتصدون لآلات الحرب بصدورهم العارية، والابتسامة تعلو وجوههم تفاؤلا وتيمنا بالنصر القريب وعودة الأرض إلى أصحابها الشرعيين ، هذه المشاهد تنقلها الفضائيات إلى العالم، ومعها يظهر سفاح العصر شارون وهو يصعد الدرج لاهثا إلى مقر اجتماعات الحكومة الصهيونية، ولم يتجرأ أحد من قادات ورؤساء العالم ليقول للملأ: هذا شارون الذي يحتفظ بأسلحة الدمار الشامل، ويبني الجدار العنصري ويرتكب المجازر ماهو موقفكم ياأعضاء مجلس الأمن لقد لاذ الجميع بالصمت المطبق.

وهذان مشهدان تركا انطباعا عميقا في نفسي وأنا أتابع عبر قنوات التلفزيون العالمية الأحداث والمآسي التي تحل بفلسطين والعراق ، المشهد الأول: مجموعة من الجنود الإسرائيليين الطيارين وغيرهم يساقون إلى السجن لأنهم رفضوا ممارسة العدوان على المدنيين النساء والأطفال والشيوخ الفلسطينيين معترضين على رؤسائهم وهم غلاة الصهاينة ، والمشهد الثاني: جندي أمريكي في العراق يعمد إلى حرق جواز سفره احتجاجا على ممارسة دولته في عدوان ومداهمات للمنازل واقتحامها في منتصف الليل وترويع سكانها المدنيين.

ومنذ أيام، وفي هذا السياق طلعت بعض الصحف في إسرائيل بخبر مفاده أن كلبا مدربا تابعا للوحدات العسكرية الإسرائيلية هاجم أحد الجنود أثناء عمليات التصفية التي ينفذها جنود الاحتلال الصهاينة في مدينة نابلس ، وهذه الكلاب الخاصة تتميز بمستوى عالي من التدريب يستخدمها الصهاينة في اقتحام البيوت والبنايات التي ربما يختبئ فيها المقاومون الفلسطينيون ، فيرسلون الكلاب للبحث عنهم بدل المخاطرة بأرواحهم، وحدث أن كلبا مدربا رفض التوجه لمهاجمة مقاوم فلسطيني، وعندما أصر الجندي على دفعه لمهاجمة المقاوم التفت إليه وهاجمه، وبدأ ينهشه في غضب ، الشيء الذي دفع بزملائه الجنود إلى إطلاق الرصاص عليه وإرداله صريعا عقابا له على رفضه الامتثال للأوامر.

وقد حاولت الصحف الإسرائيلية لتعتيم على الحدث، وزعمت بأن الكلب أخطأ العنوان ، ولا يعتقد عاقل أبدا أن كلبا مدربا يعرف بدقة جنود الوحدات التي يعمل معها ويعيش بينها يمكن أن يخطئ ولا يميز بين صاحبه الجندي والمقاوم الفلسطيني ، والواقع أن الكلب لا يجيد الكذب والنفاق، ويدرك بحاسته وعفويته أن المقاوم الفلسطيني ليس إرهابيا لقد عرف الكلب من هو المجرم والمعتدي، عرف الإرهابي الحقيقي، وعرف الضحية، شاهد جنود الوحدات الصهاينة وهم يقتلون ويغتالون ويرعبون الصغار والكبار، رآهم وهم ينهبون البيوت ويهدمونها ويجرفون الأشجار من جذورها.

إن موقف الكلب وهو الحيوان البريء هو موقف عدد من جنود الاحتلال الصهيوني الذين حكم عليهم بالسجن لمدة عام لأنهم رفضوا الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة عام 1967 .قال أحد الجنود بعد الحكم عليه بالسجن» أن أسجن أفضل لي من أن أقتل الأبرياء ، ثم يعذبني ضميري» إن الدرس الذي نستنتجه من سلوك هذا الكلب الشهم يدفعنا إلى التحفظ حول مقولة الإرهاب والإرهابيين الفلسطينيين ، وصارت بعض وسائل الإعلام وتحت ضغط الصهيونية تستحيي من استخدام واستعمال كلمة شهيد على المقاوم الفلسطيني الذي يجود بروحه دفاعا عن وطنه وشرفه.

تسامح المسلمين مع غيرهم

■ إعداد الأستاذ : محمد العزوزي

■ السماح والسماحة ، الجود والكرم ، ورجل سمح ، وامرأة سمحة ، من رجال ونساء ، سماح بكسر السنين ، وسُمحاء بضمها ،، وفي الحديث القدسي ، يقول الله عز وجل : (اسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبادي) فعله سَمَح وسمُح، وزن فعل يفعل ، فتح يفتح ، وفعل يفعل كرم يكرم والمسامحة المساهلة ، وفي الحديث المشهور :(السماح رباح) أي المساهلة في الأشياء تربح صاحبها ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما :اسمح يسمح لك أي سهل يسهل لك وعليك ، وقال ابن مقبل:

(وإني لأستحيي وفي الحق مسمحٌ
إذا جاء باغي العرف أن أتعذرا

هذا ملخص ما ورد في كتب اللغة : (اللسان ، والقاموس ، والمصباح ، ومختار الصحاح ، وأساس البلاغة، وأقرب الموارد ، والمعجم الوسيط).

وفي الأخير : رقصة السماح) ضرب من الرقص الجماعي ، يتشابك فيه الراقصون والراقصات على شكل حلقة (محدثة)

وورد في عدد من أعداد مجلة العربي : رقصة السماح عمرها ألف عام) . أما القرآن الكريم، كتاب الله العزيز، فلم ترد فيه لفظة وكلمة السماح لا إسما ولافعلا، وورد أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، علم أن أخا له في الإيمان والدين ، قارف إثما ، وفعل كبيرة ، فكتب إليه:(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول، لاإله إلا هو إليه المصير) سورة غافر / الآيات 321. إحياء علوم الدين للغزالي ج2ص 180 ولكن ما يفيد معنى التسامح ورد في الصفح والعفو ، الأول ورد ثمان مرات ، نكتفي بذكر ثلاث منها: قال تعالى :(فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ، سورة المائدة / الآية 13، (إن الساعة لآتية ، فاصفح الصفح الجميل) سورة الحجر / الآية85 (وإن تعفوا وتصفحوا فإن الله غفور رحيم) سورة التغابن / الآية 14 . والثاني ورد 35 ، نذكر ثلاثة منها:(ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو) سورة البقرة 219 ، وأن تعفوا أقرب للتقوى ولاتنسوا الفضل بينكم) سورة البقرة الآية 237، (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله) سورة الشورى الآية :40.

والقرآن الكريم كما يذكر العلماء يفسر بعضه بعضا .

أما السنة فقدوردت عدة أحاديث كلها تحث على المسامحة والتسامح ، لأن السماحة خلق حسن، وسلوك مطلوب ، وصفة ممدوحة ، تكسب صاحبها الذكر والثناء ، ففي النهاية لابن الأثير ج :2ص: 398، فيه يقول الله تعالى:(اسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبادي) . ويقول : الإسماح لغة في السماح، يقال سمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء وفيه:(اسمح يسمح لك) أي سهل يسهل عليك ، ومنه حديث عطاء :(اسمح يسمح بك) ، انتهى كلام ابن الأثير.

وفي صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه ، ج: 1ص:158 ، باب رفع الصوت بالنداء و وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :(أذن أذانا سمحا وإلا فاعتزلنا) وفي صحيح الإمام مسلم . م:2ج4ص:85، عن عائشة رضي الله عنها قالت : نزول الأبطح ليس سنة، إنما نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان أسمح لخروجه إذا خرج، وقد نقله المنذري في مختصره ص 197 رقم 748 الحديث في سنن أبي داود ج :2ص:209 باب التحصيب، بزيادة فمن شاء نزله ، ومن شاء لم ينزله.

وهو كذلك في سنن الإمام الترمذي ج:2ص:337 رقم:924 وبدون زيادة الأخيرة ، وهو في سنن ابن ماجة ج:2ص:742 رقم 2202، (باب السماحة في الربيع) عن عطاء بن فروخ، قال ، قال سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا بائعا ومشتريا).

وفي سنن الإمام الدارمي ، ج :2ص :172، باب في السماحة ، إن حذيفة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تلقت الملائكة روح رجل ممن قبلكم فقالوا : عملت من الخير شيئا؟ فقال : لا ، قالوا تذكرا ، قال : كنت أدين الناس ، فآمر فتياني أن ينظر المعسر ، ويتجازوا عن الموسر، قال الله (تجاوزوا عنه).

وفي مسند الإمام احمد ج :1ص:5 يقول الله عز وجل: انظروا في النار هل تلقون من أحد عمل خيرا قط؟ فيقول : لا غير أني كنت أسامح الناس في البيع والشراء، فيقول الله عز وجل: (اسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدي) . وفي نفس الجزء ص: 58 و عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(كان رجلا سمحا بائعا ومبتاعا وقاضيا ومقتضيا فدخل الجنة).

وفي الجزء السادس ص :116 عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ، قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يومئذ لتعلم يهود أن في ديننا فسحة ، إني أرسلت بحنيفية سمحة).

وفي الجزء الرابع ص:204 عن عمر وبن العاص رضي الله عنه ، قال رجل يارسول الله ، أي العمل أفضل ؟ قال :إيمان بالله، وتصديق ، وجهاد في سبيل الله وحج مبرور، قال الرجل : أكثرت يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلين الكلام ، وبذل الطعام، وسماح وحسن خلق، قال الرجل: أريد كلمة واحدة ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اذهب فلا تتهم الله على نفسك)

وفي الجزء الأول ص:269، عن ابن عباس رضي الله عنهما ،، قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم:(أي الأديان أحسن إلى الله؟ قال صلى الله عليه وسلم :(الحنفية السمحة).

وفي سيرة ابن هشام ، م :2 ج :4ص:1000، 1002، قالت سفانة ابن حاتم الطائي لما وقعت في الأسر: يارسو ل الله، هلك الوالد وغاب الوافد، فامنن علي منَ الله عليك ، قال ومن وافدي؟ قالت عدي بن حاتم ، قال : الفار من الله ورسوله، وفي المرة الثالثة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد فعلت، وأطلق سراحها وجميع من معها من الأسرى، وجاءت أخاها عدي بن حاتم، وقالت أرى والله أن تلحق به سريعا، فإن يكن الرجل نبيا، فالسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا، فلن تذل في عز اليمن، وأنت أنت ، قال عدي: والله إن هذا للرأي ، قال فأتيته ، وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل ، وقال : أخبرني بثلاثة ، وقد رأيت اثنتين ، وبقيت واحدة ونفس الكلام في كتاب :(قصة كبيرة في تاريخ السيرة)ص: 312 للراند محمد مهدي عامر ، طبع 1387هـ 1967م.

وفي :(الدر المنثور في طبقات ربات الخدور) لزينب فواز بنت الشيخ يوسف العلمي الدمشقي ص:344

قالت سفانة فإن رأيت أن تخلي عني ، ولاتشمت بي أحياء العرب، ووصفت أباها حاتما بأوصاف حميدة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياجارية ، هذه صفات المؤمنين حقا ، لو كان أبوك حيا لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق.

وملخص هذه القصة لما غزا علي كرم الله وجهه بني طيء قوم حاتم الطائي، فر عدي بأهله إلى الشام، وسبى علي رضي الله عنه؟ صبيانا ونساءً وقد مرت سفانة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقالت: يامحمدإذا ملكت فاسجح ، أي إذا غلبت فاعف واصفح ، أكرم عزيز قوم ذل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هاته ؟ قالوا إنها سفانة بنت حاتم الطائي ، قال أطلقوها وخلوا سبيلها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق) وفي تاريخ الخميس لحسين الديار بكري ج :2ص:130، 131 سماها سنانه بالنون بدل الفاء،

. وقد قال بعضهم : البذل والعطاء ثلاثة أنواع : الكرم والجود والإيثار، الكرم أن تعطي القليل وتمسك الكثير ، والجود أن تعطي الكثير وتمسك القليل ، والإيثار أن تعطي الكل ولا تمسك لنفسك شيئا، وحاتم كما كان يحكى عنه من الصنف الثالث.

ويتجلى التسامح والصفح والعفو، في معاملة الرسول عليه الصلاة والسلام لقومه قريش يوم فتح مكة السنة الثامنة للهجرة، حين خطب فيهم خطبته الشهيرة بعد تطهيره للبيت من الأصنام والأوثان التي كانوا يعبدونها، قائلا: (يامعشر قريش إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا قول الله تعالى:» يأيهاالناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم) الآية 13 سورة الحجرات،

ثم خاطبهم، وهم صغارذليلين ، ينظرون إليه خائفين : يامعشر قريش ماترون أنني فاعل بكم؟ وقد خشيت قريش أن ينتقم منهم قالوا: خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء يعني أنتم أحرارا . وزاد قائلا : مثلي ومثلكم كما قال يوسف لأخوته (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) سورة يوسف الأية 92، فكان لهذا العفو ، وهذا التسامح ، الأثر الكبير في نفوس قريش فأخذوا وشرعوا يبايعون على السمع والطاعة، وأنزل الله تعالى:»يأيهاالذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، سورة التوبة/ الآية28.

وصدق صاحب قصيدة:(بانت سعاد ... كعب بن زهير حين أنشد قصيدته أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها

أنبئتُ أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول

تاريخ الخميس ج:2 ص :94.

هذا التسامح وهذا الصفح والعفو، هو عام كتابا وسنة، وسيرة ، وتاريخا أما كيف نطبقه اليوم مع العولمة.

الحج ومقاصده

■ إعداد الأستاذ : عبد الحميد بلحاج

■ إن لجميع الأمم والشعوب مواسم اجتماعية كبرى تزدحم فيها الجماهير الغفيرة من الناس وقد تكون هذه المواسم عند الأمم والشعوب شعائر دينية أو مظاهرات اجتماعية .. ولكن هذه المواسم ليست متساوية سمواً وابتدالا بل تتفاوت في قيمتها بحسب الهدف الذي ترمز إليه.

ففي كل عام يجمع في ربوع الحرم في مكة الألف المؤلفة من مختلف الشعوب وشتى الألوان والأجناس يلتقون في بلد واحد وقد أزال لباس الإحرام مزاياهم الخاصة ، وأشعرهم بوحدتهم الإنسانية يطوفون حول الكعبة طوافا يشير إلى أنهم يسيرون نحو هدف واحد وهو تلبية أمر الله القائل (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) وكذلك أمر الله تعالى أن إذا نويتم الحج وخرجتم من بيوتكم مريدين هذا البيت الحرام ، فطهروا قلوبكم واكبحوا شهواتكم النفسية واجتنبوا الفسوق والجدال وسفك الدماء والفحش من الكلم ، وائتوه بما يجب عليكم أن تكونوا عليه عند ما تمثلون بين يدي ربكم من الأدب والاحترام والعجز والخشوع واعلموا أنكم متوجهون إلى ذلك المقتدر الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما والذي يفتقر إليه كل من سواه وإذا أديتم ما عليكم من العبادات بإنابة القلب وصفائه فجزاؤكم عظيم ألا وهو الجنة(الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) . الحديث

نعم ان الحاج في الإسلام يقصد عبادة الله ولا يعبد غيره، إن كل ما يعمله الحاج ويقوم به من شعائر ليس إلا مذكورا يذكر به ويصله بخالقه في موطن ليس فيه ما يشغل الذهن والقلب في موئل التوحيد الأول، وفي مهبط الوحي على الرسول المبعوث رحمة للإنسانية أبد الدهر، إن كل شيء هنا ينبغي أن يذكره بالله. قرون وقرون مرت على البشرية وأفواج البشر يغدون ويروحون ثم إلى ربهم يذهبون والله وحده هو الباقي الذي لا يزول.

إن الحج هو أعظم عبادة الله شانا . فلما ذا يفارق الانسان عمله وتجارته وأبناءه وأصدقاءه ويعاني تعب السفر إذا كان قلبه خاليا من حب الله تعالى؟

إن نفس قصد الإنسان عند ما يخرج من بيته ويبدأ الرحلة إلى بيت الله الحرام لا يكون شأنه فيها شأنه في عامة الرحلات فإن جل همه يكون منصرفا إلى الله تعالى وتزداد في قلبه عواطف الحب والاشتياق إلى بيت الله الحرام وعلى قدر ما ينطوي عليه بعد السفر ويشعر بدنو الكعبة تزداد فيه عواطف الحب، وتتضاعف جاذبية الشوق وينفر قلبه من الذنوب والمعاصي ويندم على ذنوبه السالفة ويدعو ربه ويتضرع إليه أن يوفقه لطاعته في الأيام الباقية من حياته.

إن للطواف معاني ودلالات عميقة: فالكتل البشرية التي لا ينقطع طوافها في كل عام تسير تم تسير ولا تنتهي القافلة إلا حين يفنى هذا العالم الذي نعيش فيه انها الحياة تسير في دورتها إن البشر يتغيرون ولكن الذي شرع لهم وقدر لهم السير لا يزال حيا خالدا وما الإحرام أيضا الذي هو ارتداء الحاج لقطعة من القماش إلا رمز على إهدار الفروق الطبقية التي تظهر في الألبسة المختلفة المتنوعة ، وإشارة إلى وحدة البشر واعتبار قيمتهم الذاتية دون المظاهر الخارجية ، ويرمز كذلك إلى يوم المحشر والحساب يوم يسقط عن كل إنسان نفوذه وسلطانه ، وينفصل عنه ماله وأملاكه.

إن للحج مزايا تختص بها عن باقي العبادات منها : صفة الاجتماعية فالناس يعبدون الله مجتمعين على أوسع نطاق لا متفردين، وفي ذلك إبراز وإظهار للناحية الاجتماعية في الإسلام حتى في العبادة وإقصاء لفكرة الفردية والانعزال.

كما أن للحج مزية أخرى تتجلى في عدم عزل الحياة الروحية عن بقية نواحي الحياة، فالحج يجمع بين مصالح الناس ومنافعهم وعبادة الله ، فقد جعل الاسلام من أهداف الحج أن تجتمع هذه الحشود على منافعها ومصالحها وما أجمل وارفع هذه الغاية النبيلة (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) صدق الله العظيم.

فالحاج عندما يدخل أرض الحجاز ويطأها بقدمه يتمثل في عينيه تاريخ الإسلام ويشاهد في كل بقعة من بقاع تلك الأرض الطاهرة، آثار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأحبهم وأحبوه وضحوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم وتشهد لهم كل ذرة رملية في تلك البقعة بعظمة الإسلام.

وتنطق كل حصاة من حصاها بأن هذه هي الأرض المقدسة التي بدأ منها الإسلام وانبثق منها نوره، وعلت منها كلمته ، فهكذا يمتلئ قلب المسلم ولعا بالله تعالى وحبا لدينه وعندما يرجع إلى وطنه يجد في قلبه أثراً من آثار الاسلام لا يمحى إلى آخر أيام حياته.

أوجه الإحرام بالحج

■ إعداد الأستاذ : أحمد تشكرت

شرع الله سبحانه وتعالى فريضة الحج على ثلاثة أوجه تؤدى عليها وهي كما يلي :

الإفراد

القران

التمتع

أ- الإفراد : وهو أن يحرم من يريد الحج من الميقات بالحج وحده ، ويقول في التلبية لبيك بحج ، ويبقى محرما ، حتى ينتهي من أعمال الحج ثم يعتمر بعد ذلك إن شاء.

تعريف الإحرام:

الإحرام هو نية أحد النسكين الحج والعمرة أو نيتهما معا. وهو ركن لقول الله تعالى« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء» وقوله(ﷺ) إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى .

آداب الإحرام

للاحرام آداب ينبغي مراعاتها وهي:

1. النظافة : يتحقق بتقليم الأظافر وقص الشارب و الاغتسال وهو أفضل.
2. التجرد من المخيط والمحيط ، ولبس ثوبي الإحرام . إزار ورداء .
3. صلاة ركعتين ينوي بهما المحرم سنة الإحرام بالكافرون والإخلاص
4. الشروع في التلبية : ويرددها الحاج من ساعة إحرامه ويجددها عند تغيير الأحوال ،كالقيام والقعود، والنزول والركوب والصعود والهبوط، وملاقاة الرفاق. وبعد كل صلاة. ويتوسط في رفع صوته بها وفي ترديدها ، فلا يلح ولا يسكت نهائيا.

وإذا وصل الحاج إلى مكة ودخلها بادر في التوجه إلى بيت الله الحرام ، ويدخل المسجد من باب السلام قاصدا الكعبة المشرفة لأداء طواف القدوم . الذي هو واجب على كل محرم بفريضة الحج.

الطواف وكيفيته:

إذا دخل الحاج المسجد الحرام فأول ما يفعله ، هو الطواف حول الكعبة المشرفة ، ويسمى هذا الطواف بطواف القدوم ، لأنه أول ما يفعله الحاج من المناسك.

وإذا رأى البيت رفع يديه وكبر ويستحب أن يدعو عند رؤية البيت فيقول « اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام، اللهم زد هذا البيت تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وبرا وزد من عظمه وشرفه ممن حجه واعتمره تعظيما وتشريفا وتكريما».

وبعد إكمال الطواف يجب صلاة ركعتين في مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وبعد طواف القدوم وصلاة ركعتين يستحب الوقوف بالملتزم وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود ، وهو مكان يستجاب فيه الدعاء ، ثم التوجه بعد ذلك إلى بئر زمزم قصد الشرب من مائه ، مع التضرع والدعاء إلى الله.

ثم الاتجاه إلى المسعى . من باب الصفا ، للسعي بين الصفا والمروة.

وكيفية السعي هو الابتداء بالصفا والوقوف عليها ، مع استقبال القبلة وقراءة قول الله عز وجل « إن الصفا والمروة من شعائر الله».

شروط السعي:

يشترط لصحة السعي بين الصفا والمروة مايلي:

1. أن يكون السعي بعد الطواف
2. أن يكون سبعة أشواط
3. ان يبدأ بالصفا ويختم بالمروة.
4. أن يكون السعي بالمسعى ، أي بين جبل الصفا وجبل المروة.

وهذا السعي بين الصفا والمروة هو أحد الأركان الأربعة التي لا تنجبر بالدم، ولا يعاد بعد طواف الإفاضة.

وبعد طواف القدوم والسعي يبقى المحرم على إحرامه ، من التلبية واجتناب جميع ممنوعات الإحرام بالحج إلى إتمام مناسكه.

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة يخرج إلى منى فيبيت بها فإذا طلعت الشمس ذهب إلى عرفات وصلى الظهر والعصر جمع تقديم وقصر، ولا يبدأ الوقوف بعرفات إلا بعد الزوال. والوقوف بعرفات هو ركن الحج الأعظم. ويستقبل القبلة . ويأخذ في الدعاء والذكر حتى يدخل الليل. وعند ذلك يفيض إلى المزدلفة ، فيصلي بها المغرب والعشاء جمع تأخير ويبيت بها، فإذا طلع الفجر وقف بالمشعر الحرام . وذكر الله حتى يسفر الصبح فيجمع الجمرات ويذهب إلى منى.

وبعد طلوع الشمس يرمي جمرة العقبة بسبع حصيات ثم يذبح الهدي ويحلق شعره أو يقصره ، ثم يعود إلى مكة فيطوف بها طواف الإفاضة، وبعده يحل له كل شيء ثم يعود إلى منى فيبيت بها، وبعد زوال اليوم الحادي عشر من ذي الحجة يرمي الجمرات الثلاث ، وكذلك في اليوم الثاني عشر وبين البقاء إلى اليوم الثالث عشر .

فإذا عاد إلى مكة واراد العودة إلى بلاده . طاف طواف الوداع، قال الشيخ العالم الزاهد أبي العباس أحمد بن زروق في شرحه على الرسالة مختصرا أعمال الحج في نظمه للأبيات الآتية:

أحرم ولب ثم طف واسع وزد
في عمرة حلقا وحجا إن ترد
فزد منى وعرفات جمعا
ومشعرا والجمرات السبعا
وانحر واقصر وافض ثم ارجع
للرمي أيام منى وودع
وكمل الحج بالزيارة
متقيا من نفسك الأمارة
فالسر في التقوى والاستقامة
وفي اليقين أكبر الكرامة.

روح خطبة الجمعة في النصوص التي تتخللها

القرآن وهيمنته على التشريع والوعظ

■ إعداد الدكتور: محمد حمان - الحلقة الأخيرة-

■ وفي بعض أعمال الحج ووجوب الطواف بالبيت يقول الحق جل علاه: "وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير، ثم ليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق".

وفي كون السعي بين الصفا والمروة من أركان الحج التي لاتنجبر بالدم يقول ربنا جل جلاله: "إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما..."

وفي الحج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" وقال عليه الصلاة والسلام في الحج والعمرة معا: "تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة".

والمراد من كتابة كل هذه النصوص القرآنية والحديثية عن الحج والعمرة في هذا البحث المتواضع هو إقامة الدليل على أن بإمكان الإمام الخطيب أن يوظفها في عدة خطب، إذ من خلالها يمكنه أن يبين جميع أفعال هذين النسكين، سواء منها ما كان ركنا غير مجبور بالدم، أو ما كان واجبا يجبر بالدم، أو ما كان مندوبا فيه الأجر والثواب ولاشيء في تركه أو ما كان من الممنوعات على اختلاف أنواعها ودرجاتها، إذ منها ما يبطل الحج وهو الجماع، ومنها مايجب فيه العوض والجزاء بالمثل وهو الصيد، ومنهاماتجب فيه الفدية كحلق الرأس.

ومع كل هذا يبقى مجال العبادات فيه توسعة أكثر أمام خطيب الجمعة، إذ له أن يخصص أكثر من خطبة يخطبها في الصلاة، وكذلك الشأن بالنسبة للزكاة، ويجد لجميع خطبه التغطية الكافية من النصوص القرآنية والحديثية، وصدق الله العظيم الذي يقول في كتابه الكريم: "ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين"، ويقول سبحانه في نفس كتابه العزيز: "... مافرطنا في الكتاب من شيء..."

وحتى الذكريات والأحداث الوطنية إذا فرضت وجودها على خطيب الجمعة فإنه يجد من نصوص القرآن والحديث مايسعفه على تغطيتها وإخراجها في إطار ديني محض.

فإذا خطب حول ذكرى ثورة الملك والشعب، مثلا، فإن باستطاعته أن يدعم أقواله وأفكاره حول نجاح هذه الثورة المباركة بقوله سبحانه: "الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور"وعند تذكيره للناس بما جرى فيها مع الاستعمار البغيض، وكيف قاومه المغاربة الأبطال بكل إخلاص له أن يستشهد بقول الله تعالى : "وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين"، وبقوله جل علاه" ..ولايحيق المكر السيء إلا بأهله..."وبقوله عز من قائل: "..وكان حقا علينا نصر المومنين" وبقوله جل جلاله: "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين" وله أن يضيف إلى هذه الاستشهادات في الموضوع قوله عز وجل: "ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز، الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور" وقوله جل ذكره: "ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين".

فإذا أضاف الخطيب إلى هذه النصوص وإلى مايتخللها من أقواله المناسبة لها مايفتتح به خطبته من حمد الله وشكره والاستعانة به وتوحيده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وما يختم به عادة من أدعية مناسبة للمقام كانت خطبته في منتهى الروعة.

وهكذا الحال بالنسبة إلى الأحداث والذكريات الوطنية الأخرى، كذكرى معركة وادي المخازن، وذكرى عيد الاستقلال، وغير ذلك من الذكريات الوطنية والدينية، فما على الخطيب إلا أن يعود إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجد فيهما مايغنيه من النصوص في أي ميدان تحدث فيه.

ففي القرآن والحديث نصوص كثيرة حماسية وجهادية وأدبية وأخلاقية وغيرذلك، يستطيع خطيب الجمعة المقتدر أن يأخذ منها مقدار ما يريده من النصوص التي تناسب موضوع خطبته.

وبطبيعة الحال يحتاج منه هذا الأخذ إلى نوع من القدرة العلمية، والمهارة في الفن الخطابي، ويكتسب الخطيب الكثير من ذلك بالممارسة والإخلاص لمهنته، والإكثار من القراءة للكتب الدينية والأدبية، وكما أسلفنا فإن الخطبة الإنشائية الخالية من النصوص القرآنية والحديثية تفقد قيمتها كخطبة للجمعة، ويقل تأثيرها أو ينعدم على عموم الناس مهما تفنن صاحبها في اختيار ألفاظها، وتنسيق وسبك عباراتها لأن الشعور الديني تحركه في الانسان بالفطرة نصوص القرآن الكريم ونصوص الحديث الشريف، وصدق الله العظيم الذي يقول في كتابه الحكيم: "فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها، لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون".

وخلاصة القول، هي أن خطبة الجمعة مهما تنوعت وتعددت موضوعاتها في هذا الجانب أو ذاك من جوانب التشريع الإسلامي، فإن زبدتها وروحها ومفعولها القوي فيما تحويه من نصوص قرآنية وحديثية، شريطة أن يأتي بها الخطيب منسجمة تمام الانسجام مع الموضوع الذي اختاره لخطبته.

فمن القرآن الكريم والحديث الشريف يستمد خطيب الجمعة مادته الأساسية، إذ نصوص القرآن في كثير من الأحيان تحتاج إلى بيان، والذي يبينها، بصفة أساسية، هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا انفصام بين القرآن والسنة، ولايمكن أن يستغني بأحدهما عن الآخر، لأن كلا منهما يعد وحيا من الله تعالى، لقوله سبحانه في حق رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام: "ومايَنطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى" ولقوله جل جلاله في وجوب الأخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم: "... وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا..."

وإنما تعطى الأسبقية والصدارة لنصوص القرآن عند أي استشهاد لكون كتاب الله هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وتأخذ السنة المرتبة الثانية في هذا التشريع، وهذا شيء طبيعي، لأن السنة تأتي في كثير من الأحيان مبينة للكتاب، ومرتبة البيان تأتي بعد مرتبة المبين، وحتى بالنسبة للتأثير على أنفس الناس تأخذ نصوص القرآن الدرجة الأولى، وصدق ربنا الكريم الذي يقول في كتابه الحكيم: "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله..."

وهيمنة الكتاب العزيز على أنفس الناس، وعلى مصادر التشريع الإسلامي، وحتى على التشريعات السماوية السابقة، أمر مفروغ منه، وكيف لا والله يقول في هذا الكتاب الجليل: "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهمينا عليه...".

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1052
السنة 36
الجمعة 30 ذو القعدة 1424 هـ
الموافق 23 يناير 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق
الرابطة

العدد: 1052 الجمعة 30 ذو القعدة 1424 هـ . الموافق 23 يناير 2004م

حقيقة الزواج في الفقه الإسلامي

بحث عرضه م. جول روسي تيو في مؤتمر المستشرقين التاسع عشر وجلسة 24 أكتوبر سنة 1935 بروما وعربه السيد فرقاني خطاب

■ يعلم كل أحد أن المعاصرين من مفسري الفقه الإسلامي قد تناقشوا في حقيقة الزواج عند المسلمين، وقد اتحدت الآراء على أن هذا الزواج إنما هو مجرد عقد بين الزوجين غير أن بعض المؤلفين قد غفلوا عما يقوم من فروق بين "حقوق الأشخاص" و "الأشياء المستحقة" في نظر المذهب الصحيح، فاسترسلوا إلى ما وراء هذا الحد وذهبوا إلى القول بأن الزواج الإسلامي لايخرج عن كونه بيعا من البيوع. على أن هناك من يعتبر النكاح، بمقتضى قانون نابليون . عقد شركة، كما جاءت بعض النصوص تصف لنا الزواج الروماني بأنه نوع اشتراك.

ولكن علاوة على كون هذه المقايسات لاتنهض حجة على الوحدة المطلقة، فهي كما لايخفى، غير ناقضة للمبدأ الإسلامي الذي يجعل الأشخاص "أرباب حقوق" لا "أشياء مستحقة" أي أنها تملك ولاتتملك. وعلى خلاف ذلك التوحيد بين الزواج الإسلامي وبين عقود البيع. غير أن عميد الكليات م.مارسيل موران قد تصدى بعنف لمعارضة سلفيه، الأستاذين ستيره وارنست زايس فزعم أن الزواج الإسلامي لايختلف عن البيع. وقد كان العميد م. لوي ميو في أحد أطروحاته التي أحرز بها الدكتوراه وتعرض فيها لهذه المسألة، أشد صراحة من سابقيه، وان هو لم يوضح موقفه بصورة جلية، حتى يتسنى لنا ان نعارض به موقف موران، ومن هذا نستطيع القول. بأن النظرية الفرنسية قد استمرت في مجموعها مطابقة لتعاليم من صدع بها أولا وكتب لها الشهرة والذيوع.

إن موقفا كهذا لايخلو من خطورة. ففي الوقت الذي يفتقد فيه بعض أصدقائنا المسلمين من ذوي الأفكار الناضجة. أن تحسين حالة المرأة وفقا للآثار المأثورة عن النبي يعد شرطا من شروط نهضة الأوساط المنحطة. قد يكون لإنزال المرأة إلى درك يرى فيه القصد من تزويجها مجرد بيع وهي ذلك المبيع. مما ربما ضيع علينا فرصة امكانية التحسين التي تسمح بها النصوص الشرعية.

ولئن مال العصريون من فقهاء الإسلام لهذا الرأي القائل: "بأن الزواج بيع" فمن شأننا نحن أن نقاومه وندحضه، بما فيه من تأويل فضيع لقواعد فقهية هي الطف روحا وأسمى معنى.

ولكن على المؤلفين الغربيين. أن يعترفوا لنا قبل ذلك، بأن الشريعة الإسلامية تشمئز من هذا التأويل، وتحسبه نخبة المسلمين الجزائريين إهانة وازدراء، كما تدل على ذلك الاحتجاجات التي قدمها نواب المسلمين في القطر الجزائري، أثناء فصل الشتاء المنصرم، على تصريحات فاه بها أحد ممثلي الفرنسيين الجزائريين بمجلس الشيوخ، إذ شبه هو بدوره الزواج الإسلامي بالبيع.

فمن الضروري إذا، مراجعة النظرية الفرنسية السائرة مع التقاليد، واختيار ما تشد إليه من حجج بالدروس والتمحيص. وهي مهمة سوف تلين لنا قناتها ويسهل صعبها متى ما توليناها مسترشدين بكتاب "الفقه الإسلامي على مذهب مالك" الذي وضعه الدكتور سانت هيلانه.

تعتمد النظرية الفرنسية على الأدلة الآتية:

أولا . أن الزواج كان يعد عند الجاهلية بيعا من البيوع.

ثانيا . ورود ذكره بهذا المعنى في القرآن وفي الحديث معا.

ثالثا . اعتباره كذلك في نظر الفقهاء المعتمدين، كخليل وشراحه.

رابعا . جريانه بنفس المعنى على السنة العامة، وفيما يتبادلونه من الأفكار.

خامسا . عدم إمكان تحليل الصداق فيما يخرجه عن ثمن البيع.

ونحن نقول: إذا كانت النظرية الفرنسية ترتكز على معنى الزواج في الجاهلية فإنما ترتكز على حجة واهية ودليل جد ضعيف. ذلك لأن مابقي محفوظا لدينا من مبادئ الزواج في الجاهلية يكشفه الشيء الكثير من الغموض والإبهام. ألست ترى أن المؤلفين العصريين حينما يتعرضون لهذا الموضوع يلجأون إلى التعبير بقولهم "من الممكن" و "بلا شك" أو بما ماثل ذلك من التعابير المحتوية على الارتياب والتردد. على أن آراءهم في المسألة متضاربة متباينة. فالأستاذ جان بول مثلا يفسر المهر بالصداق، وهو يريد بذلك ولا ريب، مايؤدى قليلا أو كثيرا، معنى البيع. ومنهم من يستعير للصداق "معنى الثمن المعين توثقا" بناء على أن في بذله مايجعل الخطبة صادقة تحمل على الثقة بصاحبها والاطمئنان إلى نزاهة مقصده أمام. روبيرستون شميث فيفرق بين المهر والصداق ويقول: إن الأول أكثر تناسبا مع الشريعة الإسلامية وهو قول غريب. لأن المهر لم يرد ذكره في القرآن.

وعلى فرض أن المبادىء المشار إليها، أي مبادىء الزواج في الجاهلية، أكثر وضوحا وجلاء، فمن الواجب علينا أن لانركن إليها في غير كثير من الاحتراز والتحفظ.

فقد جاء في رسالة خصوصية موجهة إلى م. بوسكي ونقل هو بعض فقراتها في تأليف أصدره بمؤازرة مسيو بنلتي أن الأستاذ مارسي نصح للباحثين تحاشي اعتماد الأساطير التي يرويها مؤلفو العرب عن الجاهلية الأولى. ومما لاحظه عالم "الإسلاميات" الكبير أن الروايات المشار إليها انما هي تعليلات أوردها أخيرا علماء اللغة والفقه، على حين أنهم والمعاصرين لايعلمون حتى النزر اليسير عن الحالة الاجتماعية والتشريعية التي كانت عليها جزيرة العرب في العصر المتحدث عنه. ثم ختم قائلا "ليس عندنا معلومات صحيحة عما كانت عليه بلاد العرب قبل الإسلام".

وبالتالي، أن ما انتهى إلينا حول هذا الموضوع يجعل من العبث محاولة استخراج الأدلة من الأنباء التي وردت عن حالة الفكر في الجاهلية. أما الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فليس فيها مايفيد تسوية الزواج بالبيع. ويكفي أن معارضينا إذا انتقلوا من صيغ التعميم والإجمال إلى الأسانيد الصريحة الفيناهم يقتصرون على نصوص محدودة يريدون أن يصوغوا منها الحجة على أن القرآن قرن دائما فكرة الزواج بفكرة الصداق الذي يبذله الرجل للمرأة. ولسنا نرى كيف يستطيعون أن يدعموا نظريتهم بهذه النصوص أو مايشابهها.

حقا، هم يزعمون أنهم عثروا على حجة قوية في قوله تعالى "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم" وذهبوا يؤولون ذلك بما معناه أن الرجل يكتسب حقوقه على المرأة بما يبذله فيها من عوض وهو تأويل لا خلاف في كونه متكلف ينبو عن الطبع. فإن صريح الآية بالنظر إليها مترجمة يفيد بذل الصداق في حين أن المؤولين لها يعبرون بكلمة الابتياع، ثم إن الترجمة وإن كانت قاطعة بأفضلية الرجال على النساء إلا أنها لاتدل على أن النساء ملك للرجال. وإذا كان من الصعب علينا أن نجادل في هذه الأفضلية كما تفهم من ظاهر الآية. فلا أقل من الاعتقاد بأنها أفضلية عقلية فحسب. ولقد قال المفسر الجليل جلال الدين السيوطي أنها تتجلى من نواح ثلاث: العلم، والتمييز، واستطاعة تولية الحكم، وأخيرا، إذا صح أن فضل الرجال يستلزم أنهم أرفع شانا وأعلا مكانة، فإن سلطتهم على النساء إنما تكون من نوع سلطة الوالي على الرعية، كما ورد عن البيضاوي. وهنا نستطرد الكلام فنقول: إن الولاية معناها القدرة على الحماية والدفاع على حد تعبير الاستاذ موران. وقد ذهب مولانا محمد علي، إلى أبعد من ذلك، ففسر في ترجمته القرآن للإنكليزية كلمة (القوام) بالعضد أو السند.

ومهما يكن، فإن الآية لاتسوغ كون سلطة الرجال على النساء هي عوض عن الصداق المبذول، وإلا كان معنى ذلك، أنهم اكتسبوها بذل ما انفقوه من مال. على حين أن تعليل السلطة ينحصر في حق الحماية التي للنساء على الرجال، أي حق حماية المنزل والزياد عنه. وهو فرض واجب على الرجال في الزواج الإسلامي فالرجل له السلطة المطلقة في البيت لأنه أوسع علما، وأرشد عقلا. ولأن على كاهله ترسو واجبات القيام بشؤون الأسرة. لذلك انتحينا نحن في ترجمة الآية ناحية أخرى فقلنا إن الله تعالى فضل الخلق بعضهم على بعض فيما منحهم من المواهب وأتى الرجال فضلا على النساء لما أنفقوا من مال.

وليس تحاشينا التصحيف وربانا بأنفسنا عن تحريف النصوص عن مواضعها. سلمنا انه لايوجد في القرآن مايشير إلى أن الزواج عبارة عن البيع.

وليست الأحاديث النبوية بأقوى حجة لخصومنا. وليس استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم كما في البخاري: "لايخطب أحدكم على خطبة أخيه ولايسوم على سومه: وبحديث آخر ومفاده انه إذا انعقد نكاحان على امرأة واحدة فهي لمن عقد عليها الأول، كما أن الشيء إذا بيع لاثنين فهو للمشتري الأول فنحن لانرى في الحديثين إلا بعض التشبيهات من الوجهة الفقهية لا يصح الاستدلال بها على أن الزواج بيع في نظر النبي وعلماء الحديث.

ثم كيف نسيغ لانفسنا. ونحن أجانب عن الإسلام، وأبواب الاجتهاد موصدة أمامنا، أن نعمل بمعاول الهدم في أركان المذهب معتمدين على ما وصل إلينا من تأويل القرآن والسنة. بل غاية أمرنا، الرجوع إلى أقوال الفقهاء وعلماء الدين، وهؤلاء وإن حاولوا تشبيه النكاح بالبيع غير أنهم أرادوا بذلك مجرد المقارنة وتطبيق قواعد هذا على ذاك. ومامنهم من قال أو كتب، أن الزواج هو بيع المرأة للرجل خلافا لما يجري عادة على أقلام المؤلفين الفرنسيين، أو زعم أن حقيقة هذا الزواج هو أن تبيع المرأة نفسها أو تعارض بذاتها بعضا أو كلا.

من قديم، أورد كل من الأستاذ زايس في كتابه "أساليب البحث في الفقه الإسلامي" الذي نأسف على أنه لم يتممه بعد، والدكتور سانت هيلانه في "ترجمته المختصر" أدلة على أن خليل لم يقل بأن الزواج بيع من البيوع، وإنما هو أراد تطبيق شروط الثمن على الصداق "الصداق كالثمن" فكل مايصح ان يكون صداقا حلالا يصح كذلك أن يكون ثمنا حلالا. وقواعد الضمان والتلف والعيوب في البيوع تجرى كذلك في الشيء المبذول صداقا.

ومع كون الصداق تطبق عليه شروط الثمن ما خلا البعض القليل منها فهو كالثمن بمعنى آخر زيادة على ماتقدم ذكره. وإلى هذا المعنى أشار بعض المؤلفين بقولهم: الصداق فيه مقابلة المنفعة كالثمن في مقابلة البضاعة. وهو الرأي المشهور، خلافا لما ورد عن ابن رشد. ومن ذلك يتضح ما جاء معزوا إلى مالك في المدونة من أنه عقد أكثر شبها بالبيع من الزواج.

ولكن الزواج يختلف عن البيع في مبدأ أساسي: فالبيع على حد ابن عرفة:عقد معاوضة على غير منفعة ولا متعة لذة. في حال أن الزواج بإجماع أهل العلم لايملك شيئا من ذات المرأة ولا من مالها. وإنما ينحصر ملكه في العصمة أي في السلطة على الزوجة مع حق التمتع بها أنى شاء ولما كان هذا التمتع لا سلم كملك فقد تعذر الحكم بتسوية الزواج بالبيع. نعم، نحن لانجهل أن البيع قد يؤدي مدلولا أوسع مما فسره به ابن عرفة فقد يكون عقد معاوضة كما أسلفنا، وعلى هذا بني الخرشي قوله: أن للزوجة أن تمنع من نفسها حتى تحوز الصداق لأنها بائعة، وللبائع الحق في عدم تسليم المبيع إلى أن يأخذ ثمنه. إذ لا يخطر بخلد أحد أن يفسر البيع أو البيعة بعقد معاوضة متى أطلقا على الميثاق المنعقد بين الخليفة وأتباعه من المومنين.

لقد رأيت أن الأسانيد التي زعموا اقتباسها من الفقه الإسلامي قد اضمحلت برمتها. بقي أن العوام الذين ينظرون إلى المسائل الفقهية نظرة سطحية خالية من الدقة والتعمق، قد يستخرجون من وجوب الصداق أنه ثمن، وأن المرأة مبيع وأنتم المشترون، ولكن، هل يلزمنا لنفهم الحقائق وإدراك كنه الأوضاع، أن نقلد جهلة القوم والمتفقهة حتى نوثر أقوالهم على رأي الطبقة المثقفة وعلماء الشرع.

ثم إن آخر حجة يعتد بها خصومنا، هي التي أرادوا انتزاعها من قولهم، إن اشتراط الصداق يستلزم أن يكون النكاح بيعا، وفي اعتقادنا أن هذا القياس بعيد عن الموضوع غير لائق بالكرامة العلمية، إذ لا ينبغي التكلف في اتخاذ وضع نزلت به الآية وسيلة لتبرير رأي من الآراء الفقهية.

ولئن سلمنا جدلا أن حججهم الاخرى لها نصيب من الصحة، فالتي أرادوا اتخاذها من القرآن. أي أن وجوب الصداق معناه أن الزواج بيع. لاتخلو من سوء أدب بالنسبة لقدسية الكتاب لأنها منافية لروح الآية وإن لم تكن كذلك باعتبار ظاهر اللفظ.

وبالرغم عن هذا كله، فإذا نحن طرحنا عن أنفسنا هذه الاعتبارات التي يوحي بها إلينا الضمير فقد لانجد حرجا في النظر إلى الصداق كعوض يرمز في وضوح أو في خفاء إلى أن ينجر إلى الزوج من الفوائد والعوائد، من وراء بنائه بالمرأة. وحينئذ يتخذ الزواج الإسلامي، على الأقل من بعض نواحيه، وإلى حد محدود، شكل عقود المعارضة التي يكون الثمن فيها من مقابلة عمل معين، وليس في مقابلة عوض ثان. أو أقل على حد تعبير الاتينية "أعطيك لتعمل" لا " أعطيك لآخذ منك" خلافا لما يرددونه خطأ حول هاته المسألة.

وقد تكون هذه الحجة الباقية لخصومنا منافية للعقل والصواب، لولا ما نفسرد بها من أنها ظاهرة لنقلهم البحث في غير شعور من وجهته الفقهية إلى الوجهة الاجتماعية.

والواقع أن طرح المسألة على بساط الاجتماعيات يجعل من الدراسة المألوفة المناقشة في مسألة ما اذا كان الزواج بما فيه وبما اشتمل عليه من فرض الصداق جاريا مجرى ابتياع المرأة في القديم. ولكن ليس من مقصدنا هنا ان نسلك هذه الطريقة في الجدال.

وإذا كانت رغبتنا هي الوقوف عند حدود الفقه، فإنا نرفض بتاتا الأخذ بالرأي الذي يسوي بين الزواج والبيع، مكتفين بما لاحظناه، من أن القول المشهور عند العلماء "و أن الزواج عقد شرعي الغاية منه تمكين الرجل من التمتع بامرأة غير مملوكة ببيع ولابرق، على أن وطء الأمة كالزوجة لايعذرنا في نظر الشرع وهذا ما نستخلصه من تعريب ابن عرفة.

■ **المجلة المغربية للقوانين والمذهب والأحكام الأهلية ع:4. س: 1936/5**